

الحرب عبر التاريخ

الجزء الأول

تأليف الفيلد مارشال

مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر



مكتبة الأنجلو المصرية



الحرب عبر التاريخ

A HISTORY OF WARFARE

تأليف

الفيلد مارشال فيكونت مونتجمرى

تعريب وتعليق العميد

فتحى عبد الله النمر

رئيس مادة التاريخ العسكرى بالكليات العسكرية
وحاصل على جائزة الموضوعات العسكرية
فى عيد العلم العاشر والحادى عشر

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

التصديق بالنشر

كتاب المخابرات الحربية رقم ن / م ث / ٦ / ١ / ٢٠٢١

بتـــاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٧١

تقديم



لقد قرأت هذا الكتاب أكثر من مرة لأعجابى الشديد به ، وفكرت مرات كثيرة فى تعريبه لأنقل للمكتبة العربيـــة أروع وآخر ما كتبه الفيلد مارشال مونتجمرى عن **الحرب عبر التاريخ** ، ولكننى وجدت أنه عمل كبير ويحتاج إلى مجهود ضخم ، فلجأت إلى صديقى الدكتور عبد العزيز الدسوقى والأستاذ سامى الشهابى فقدما لى العون المخلص الذى ساعدنى على أخراج هذا الكتاب على الوجه الأكمل والمشرف .

وهذا الكتاب يعتبر من أروع الكتب التى ظهرت حتى الآن فى مجال الدراسات العسكرية ليس لأنه يحملنا معه عبر تسعة آلاف سنة من الحرب ، ولكنه لأن مؤلفه الفيلد مارشال مونتجمرى يعد من القادة العظام المعاصرين وقد حقق إنتصارات باهرة خلال الحرب العالمية الثانية ، ويرجع ذلك لعقليته الفذة وتفكيره الصائب وقيادته الحكيمة .

وقد بذل الفيلد مارشال مونتجمرى ومساعدوه مجهوداً شاقاً يفوق الخيال حتى أخرجوا هذا الكتاب إلى النور ، فقرأوا حوالى ١٢٥ مرجعاً وبالرغم من ذلك كانوا فى بعض الأحيان يقفون مكتوفى الأيدى أمام عصر من العصـور تكون معلوماته قد طمست فيضطرون للبحث والتنقيب فى المتاحف والمراجع القديمة والكتب المقدسة حتى يحصلوا على بصيص من الأمل أو شعاع ضعيف لينير لهم طريق المعرفة .

سيصحبنا مونتجمرى معه فى رحلة طويلة ، بدأها من ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث يقص علينا قصص الحروب المختلفة والمعارك الحاسمة . . . والممالك والإمبراطوريات التى تزدهر ثم تندثر بعد أن تدفع إلى آتون الحرب ، فتنصهر وتذوب ويظهر على أنقاضها دول أخرى . . . يقود هذه الدول قادة عسكريون أو سياسيون . . . وقياصرة . . . ودكتاتوريون . . .

وفراعنة . . . فيدفعون بأممهم إما إلى النصر العظيم أو إلى قاع الهزيمة والذل والعار . . .
سيرافقنا مونتجمرى عبر حقبة من الزمن ••• حقبة طويلة ••• تبلغ تسعين قرناً •••
يمر بنا من قرن إلى قرن ••• ومن دولة إلى أخرى ••• عبر قتال مرير ••• وجيوش
جرارة ••• وأسلوب تكتيكي أو أستراتيجى متطور ••• وتنظيمات مستحدثة •••

والجدير بالذكر أن مونتجمرى وضع الشرق الأوسط ومصر فى الصدارة وأظهرها بأنها منبع الحضارات العريقة ، وأن الفن العسكرى قد نبع من مصر والعراق خاصة ومن العرب عامة ، وكانوا الرواد الأوائل للأستراتيجية والحرب وتطور الأسلحة .

وقد أثنى على مقدرة أحمس ورمسيس الثانى فى قيادة المعارك ، وأبرز أن صلاح الدين الأيوبى كان أستراتيجيا قديراً وألحق بالصليبيين كارثة مروعة ولم ينس أن يقص علينا تاريخ الحروب فى العصور القديمة وعظمة الأغريق والرومان والأسبان والفرس ، وتمر القرون عبر السطور وعلى نغمات طبول الحرب وحوافر الخيل وأقدام الجنود حتى يصل بنا إلى الحروب التى نشبت فى أوروبا خلال القرن ١٧ ، ١٨ بعد الميلاد ويذكرنا بنلسون ونابليون وويلنجتون ثم ينتقل إلى الشرق الأقصى حيث حرب مانغوليا والصين واليابان والهند حتى يصل إلى بداية الحرب الحديثة حيث أندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ويرافقنا عبر الخنادق وبين أزيز طلقات المدافع حتى يدخل بنا إلى الحرب العالمية الثانية ويصل بنا إلى نهايتها بـ ٢٠ عاماً ، ويخرج بنا إلى أخلاقيات الحرب والستار الحديدى والحرب الباردة بين روسيا وأمريكا ثم يعود ثانية إلى العصر النووى وما ينتظر العالم خلال الحرب الهيدروجينية المستقبلة حتى يصل بنا فى نهاية المطاف إلى مفهوم السلام ، ولم ينس هذا القائد العظيم أن يكتب أحاسيسه وتجاربه الشخصية خلال السطور .

إنها رحلة ممتعة خلال هذه القرون . . . وهذه المعارك . . . وهؤلاء القادة . . .

رحلة شائقة لمعرفة الأعماق البشرية والقيمة الحقيقية للحروب الطويلة فى الماضى حتى يمكن أستخلاص العبر والدروس المستفادة ، فالحرب جزء رئيسى من التاريخ لأنها تتعلق بضروريات الحياة من طعام ومكان آمن يعيش فيه الإنسان .

أنه أول كتاب يقوم بدراسة الماضى دراسة عميقة للبحث عن كل ماله أهمية لإيضاح

وأنارة الطريق فى الحاضر والمستقبل ، وقد ركز بصفة خاصة على قادة الأمس العظام لمعرفة : —

كيف كانوا يفكرون ويعملون . . . ؟

كيف أستخدموا ما أتيح لهم من إمكانيات ... ؟

العوامل التى أثرت وسيطرت على قراراتهم ... ؟

ما هى قراراتهم ... ولماذا ... ؟

الصفات التى يجب توافرها فى القائد العسكرى والسياسى ... ؟

العوامل التى تؤدى إلى النصر أو تسبب الهزيمة ... ؟

لأننا أبناء القرن العشرين ، يوجد خلفنا ٢٠٠٠ سنة من الخبرة والتجارب ، فإذا أجبرنا على القتال فليس لنا أى عذر إذا لم نحارب جيداً .

وقد أسهب فى الكتابة عن القيادة والروح المعنوية للرجال ، وضرب لنا الأمثلة التى قشعت الضباب الكثيف حول هذه المشكلات ، ومنها أن الحصون ذات الأسوار العالية والمكتظة بالأسلحة وبها أجود الخيول وأقوى عربات القتال والفيلة ، كل ذلك ما هو إلا خرافاً ترتدى أقنعة الأسود إذا لم يتوفر الرجال لكل هذا ، ولديهم الروح المعنوية العالية والجرأة والأستعداد لخوض الحرب ...

وعلى كل فالقيادة فى الحقيقة مشكلة انسانية لأن المادة الخام التى يتعامل بها القائد . . . هى الرجال . . . والحرب هى البوتقة التى ستظهر من أى معدن صنع هذا القائد . . . وهؤلاء الجنود . . . وهذه الأمة . . .

سنقرأ سوياً خلال صفحات هذا الكتاب عن دول تعلو ... وممالك تهوى ... وملوك تتوج ... وأباطرة تسقط ...

حياة كلها شقاء وعذاب ... دماء تسفك على كوكبنا الأرضى ...

الجميع يشعرون بها ... وينادون بأعلى صوتهم ويطلبون السلام والحرية ...

ولكن هذه الأصوات تخبو رويداً رويداً وتضيع عبر هذا الفراغ الكبير ... وبين هذه الدول الكبرى ... وعبر هذه القرون الطويلة ...

وفى النهاية يعلو صوت واحد فقط ...

أنه صوت الحرب ... صوت المدافع ...

صوت القنابل الذرية والهيدروجينية ...

ولكن من خلال هذا الدمار وهذه الأشلاء يستمر النداء بالحرية والسلام .

ولكن من يسمع ... ويعى ... ويقدر ...

إنها حكمة الله فى ملكه ...

الحرب ... والحرب ... وإلا فسدت الأرض .

العميد

فتحى عبد الله النمر

المقدمة

لم أكتب هذا الكتاب لأمجد الحروب ، ولكن لأساط الضوء على الجهود الضخمة التى بذلها الرجال والنساء فى الجبهة الداخلية وجبهة القتال على السواء خلال هذه الفترات العصيبة من الصراع .

لذلك أصبح من الحيوى أن يراعى القادة السياسيون الهدف السياسى من الحرب ، مع إصدار تعليمات واضحة للقادة العسكريين وجميع المسئولين حتى يمكن تحقيق هذا الهدف ، فى نفس الوقت يجب عليهم تفهم العوامل الإنسانية حتى يمكن تجنب الحرب ، أما إذا أضطروا لها فيجب الحد من الخسائر الفادحة فى الأرواح بقدر الإمكان .

لذلك لم يصبح هدف القائد العسكرى تحقيق النصر فى الحروب ولكن عليه أيضاً أن يقوم بدور رئيسى فى منع قيامها .

وقد قال السير ونستون تشرشل : —

« السلام هو آخر جائزة أطمع فى كسبها . . » .

ونجد أن هذه الجائزة لا يعرف قيمتها غير المقاتل ، فهو وحده الذى يدرك حقيقة الوحش المسمى « بالحرب » .

وأنا شخصياً شاهدت عبر حياتى الطويلة معارك كبيرة دارت بعنف وضراوة وتكبدنا خلالها خسائر فادحة ، إلا أنها أنتهت دون تحقيق الأمن والسلام اللذين أشتعلت من أجلها .

وفى هذه الأيام أشعر بهذا اليأس المرير الذى يعترى العالم المسمى « بعالم السلام » والذى نعيش فيه ، وبالرغم من هذا الشعور المظلم إلا أننى أشعر بالأمل والتفاؤل ، لأحساسى بقرب شروق شمس حياة زاهرة وسلام مستتب .

وعلى هذا الأساس وهذه الأحاسيس ، أقدم كتابى هدا إلى جميع الشعوب المناضلة من أجل السلام والحرية ، وأخص منهم رفاقى فى السلاح الذين حاربوا معى فى ميادين القتال فى أفريقيا وأوروبا ، فالكثير منهم ضحوا بأرواحهم لكى ننعم نحن الباقين على قيد الحياة بالحرية .

وأخيراً أذكر ما كتبه ثوسيد يدز : —



« إذا ردد أى إنسان أن ما أكتبه مفيد ، فهذا يكفينى » .

وهذا بالضبط ما أقصد أن أقوله .

الفيلد مارشال مونتجمرى

مصادر الكتاب

عندما فكرت فى هذا الكتاب ، وجدت أننى لن أستطيع إخراجه لحيز الوجود بمفردى ، وأصبح لزاماً علىّ تكوين مجموعة من العلماء لتساعدنى فى البحث مع إمدادى بالمعلومات القيمة الصحيحة ، فأخذت أبحث عن العلماء ، ورشح لى عدد كبير منهم لمعاونتى وأخترت بنفسى آلان هوارث ليكون رئيساً لهذه المجموعة ، وقد وفقت فى أختياره ، لأنه شاب نابه ذكى عمره ٢١ عاماً ، كرس كل جهوده ، بل وكل ما يملك من معلومات لأنجاح هذا العمل ، وعلى الفور أختار معاوناً له فى البحث وهو أنتونى وينرايت ، وكان زميلا له فى رجبى وفى كلية لوبورد ، وقد فضل ترك الكلية لينضم إلى مجموعتنا .

وأنتونى عمره ٢١ عاماً ، وقد أثبت مقدرة عظيمة كمساعد لآلان هوارث . فأصبحت مجموعة البحث تتكون منى ، الرجل العسكرى ، والمؤرخون الصغار .

وربما يتساءل البعض : — « كيف سار العمل بين الرجل العسكرى الذى يناهز الثمانين والمؤرخين الصغار الذين لا يزيد عمر الواحد منهم عن ٢١ عاماً ..؟

الجواب : — لقد سار العمل بنجاح كبير ، وتعاون كامل ، فقد قاموا بالتفكير فى البحث وأمدادى بالمعلومات القيمة ، وقد تعلمت منهم الكثير ، فكنت أفكر فى عالمهم ، بينما بعثوا بالشباب فى عالمى البعيد . وعلى كل حال فقد عملنا بجهد متواصل ، فلم نتقيد بساعات العمل المحددة ، وكنا نعمل بجد ونشاط مرة فى منزلى ومرات خارجه ، كل همنا إنجاز هذا البحث بسرعة وعلى خير وجه .

وبالرغم من هذا فقد تخلل هذه الفترة كثير من المرح والسعادة فى منزلى فى هامبشير .

وبعد أن قطعنا شوطاً كبيراً فى هذا الكتاب وجدت أننى فى حاجة إلى شخص آخر بعيد عن مجموعة البحث ، ليقرأ ما كتبناه كما هو ، ويقوم بالتعليق عليه بكل صراحة .

فأخذت أبحث عن مؤرخ عسكرى مجرب يستطيع القيام بهذا العمل ، وفى نفس الوقت يقوم بعمل الرسوم التخطيطية للمعارك التى يتحدث عنها الكتاب .

وأخيراً وقع أختيارى على أنتونى بريت جيمس ، أستاذ التاريخ العسكرى فى الكلية الحربية الملكية البريطانية فى ساندهيرست ، وله عدة مؤلفات فى التاريخ العسكرى ، وقد قدم لنا مساعدة وخبرة لا يمكن تقديرها .

بينما قدم جورج رينبيرد ومعه طاقم التحرير بكل خبرتهم ومساعدتهم الخالصة كل عون لنا .

وأخيراً لا يفوتنى أن أذكر الآنسة بونى التى كتبت فصول هذا الكتاب على الآلة الكاتبة ، وقد أعادت كتابتها أكثر من مرة .

وقد قرأت مجموعة البحث كتباً كثيرة . . . وكثيرة . . . لدرجة لا يمكن حصرها ، وصادفتنا مشاكل كثيرة منها : — هل الكاتب صادق فى سرده للحقائق التاريخية ؟

لأن الكتاب يختلفون عادة فى هذا المجال . . .

وعلى كل بذلنا أقصى طاقتنا ، ونحن مسئولون عن كل ماورد من حقائق وبيانات فى هذا البحث . . .

ولا يفوتنى أن أذكر أن مجموعة البحث طلبت منى أرشادها للكتب القيمة التى يمكن اللجوء إليها لدراسة حقبة معينة من الزمن ، وقد أستشرنا بعض العلماء ، وقد أعطونا توجيهات سديدة . وعاونتنا المكتبات بقدر كبير ، ومنها مكتبة لندن والمتحف البريطانى وغيره .

وأخص بالذكر رئيس أمناء مكتبة وزارة الدفاع مستر د . و . كينج ومعاونوه ، فقد أعطونا بأخلاص خبرات وتوجيهات قيمة .

بينما أستمتعت أنا شخصياً بقراءة مجموعة من الكتب أرسلت لى من وقت لآخر من بعض المؤلفين والناشرين ، ليس للتعليق عليها بل كمظهر من مظاهر الصداقة والمودة ، وقد أعجبت بكتابين هما : —

١ — رجال فى السلاح : — وكتبه البروفيسور بريستون والبروفيسور وايز الكنديان وهما أستاذان فى الكلية الحربية الكندية ومستر فيرنز الأمريكى وهو أستاذ بالأكاديمية البحرية الأمريكية .

٢ — تخطيط لن يموت : — وكتبه الجنرال باور وكان يشغل منصب قائد القوات الجوية الأستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية ، وتقاعد الآن ، وهو من أبرع رجال القوات الجوية وصديق لى ، وقد أستفدت من كتابه هذا كثيراً فى هذا البحث . وأضيف إلى هذا أننى درست بعناية العديد من مؤلفات أصدقائى ، وأخص بالذكر سير بازل ليدل هارت ، سيريل فولز ، آلان كلارك ، كوريلى بارنيت ، والميجور جنرال فوللر .

بينما قرأت بأمعان كتاب « أسس القيادة » بقلم جون لافن ، وأرسله لى عن طريق الناشر وولتر هاراب .

وكانت النتيجة النهائية لكل هذه البحوث هذا الكتاب .

وأعتقد أن أصدقائى العسكريين قد يكون لهم رأى يخالف رأيى وعلى كل حال فأنا أقبل تحمل المسئولية كاملة ، وقد أعتمدت فى تعليقى العسكرى على خبرتى العملية والشخصية الطويلة فى الحرب .

وأخيراً ... أعترف بأننى أستمتعت بكل وقتى الذى قضيته فى هذا الكتاب .

وأوجه أمتنانى العميق لكل من قدم العون لى فى أخراجه بهذه الصورة المشرفة .

مونتجمرى

الفصل الأول

طبيعة الحرب

الصدام المسلح ونقدم الأنسانية

— هل الحرب من أختصاص العسكريين وحدهم دون غيرهم . . ؟ ؟

— بالطبع لا . . .

فقد أظهر لنا التاريخ أن آثار الحروب ونتائجها تنعكس دائماً على المدنيين أيضاً ، وكم من أرواح غير عسكرية ذهبت ضحية هذه الحروب .

وفى العصر الحديث أصبحت دفة الحرب تدار بواسطة الساسة ، وهم فى الغالب من المدنيين وليسوا من العسكريين المحترفين .

ونجد أيضاً فى حالة الحرب الشاملة تجند جميع الطاقات والأمكانيات المدنية لخدمة المجهود الحربى ، لذلك لم يصبح التاريخ العسكرى بمعزل عن التاريخ العام ، وتطلب هذا أن التاريخ العسكرى أصبح جديراً بالدراسة والأهتمام لكل من المدنيين والعسكريين على السواء ، لذلك سأقوم فى كتابى هذا بالتركيز على المواضيع الرئيسية الآتية لأهميتها : -

— **الوسائل . . والأساليب لجميع الأسلحة .**

— **الاستراتيجية . . والتكتيك . . والقيادة .**

وفى نفس الوقت سوف أبرز العوامل الرئيسية التى أثرت تأثيراً جوهرياً فى مجرى تاريخ الحروب وأهمها : —

— **عامل العلم . . . والتكنولوجيا .**

— **العوامل الاجتماعية . . . والاقتصادية . . . والسياسية .**

ولا يعنى هذا أن يتحول الكتاب إلى أحد المراجع التاريخية ، بل آمل أن يشعر القارىء بمتعة وجمال هذه القصة . . . **قصة الحرب عبر التاريخ .**

لذلك أصبحت مهمتى الأولى شرح ومناقشة وتبسيط ما فى الحروب من تعقيدات ، معتمداً على تجاربى التى مررت بها وخبراتى العسكرية الطويلة .

فعلى أولا أن أحاول تبسيط المبادىء الأولية للحرب ، فمن الجائز أن يكون القارىء رجلا غير عسكرى ، ويحتاج إلى بعض المعلومات الواضحة والمبسطة لأساليب وتاريخ الحروب ، وعلى كل ستصبح مهمتى صعبة عندما أتكلم عن الحروب فى العصر الحديث ، فكلما زادت المدنية زاد معها بل وبسرعة تطـــور الحروب ، وبالتالى يحتاج القارىء إلى أيضاحات أكثر وأبسط .

ولكن لا يفوتنى هنا إلا أن أشير للأثر الواضح للصدام المسلح على تقدم الأنسانية ، فسنجد فى بعض الأحيان أن تأثيرها كان مفيداً ، وفى البعض الآخر ضاراً .

وعلى كل فالصدام المسلح من العوامل الحاسمة فى تقدم الأنسان لأنه من المستحيل أن نتصور أن الحروب تنشب فى الفراغ ، ولكنها على كل حال ليست العامل الوحيد . وعلى سبيل المثال ، فوليام الفاتح لم يتحكم فى تاريخ أنجلترا إلا نتيجة لأنتصاراته العسكرية ، ومثال آخر يرجع بعض المؤرخين بداية التوسع والأزدهار فى صناعة المعادن نتيجة للطلب الملح للمدافع ، بينما البعض الآخر يرجعها للطلب الملح لأجراس الكنائس .

لماذا تنشب الحرب . . ؟

سيقول البعض أنها وليدة المدنية ... والبعض الآخر سيقول أنها أمتداد للطبيعة البشرية .

هناك حقيقة واضحة بان الحرب هى الحكم النهائى عند ما تفشل جميع الجهود العملية للوصول الى اتفاق ، وهذا الحكم يستند على القوة والعنف اكثر من استناده على الحق ، بالرغم من وضوح الحق فى أغلب الأحيان .

والحروب لها أشكال وأسباب ولكنها تختلف حسب أماكن وقوعها فى بلدان العالم . فالبدو الرحل مثل جماعات « المآجيار » تنحصر حروبها فى البحث عن المناطق الغنية بالمراعى ، لسلبها والأستيلاء عليها بالقوة .

بينما نشبت الحرب الفارسية لأنقاذ اليونان ، وبالتالى لأنقاذ أوروبا من الأرهاب الأسيوى . ونجد أن الحرب هى التى أقامت الأمبراطورية الرومانية ، وأيضاً ساهمت فى دمارها .

وما حدث للأمبراطورية الرومانية تكرر مع الأمبراطورية الألمانية التى أنشأها بسمارك . وقد حدث فى فترة من الزمن أن الدين كان من الأسباب الرئيسية لنشوب الحروب ، ولم تقتصر على دول معينة بل أمتدت لتصبح عالمية تقريباً . أما فى العصر الحديث فنجد أن مصادر

الثروة للقوى الأستعمارية تـكمن فى المستعمرات التى أستولت عليها بقوة السلاح ، وقد خلقت هذه الثروات منازعات بل ومنافسات تجارية بين هــــذه الدول مما أدى إلى دخولها فى صدام مسلح .

ما هى الحرب . . ؟

الحرب : هى صدام طويل ينشب نتيجة لنزاع كتل سياسية بواسطة قوة السلاح .

الأستراتيجية العليا : هى تنسيق وأدارة جميع مصادر الدولة أو مجموعة دول لتحقيق الغرض السياسى من الحرب حتى يتحقق السلام والأمن الدائم المستقر لها .

الأستراتيجية: هى فن توزيع وأستخدام الأمـكانيات الحربية للقوات المساحة مع أمدادها لتحقيق الغرض السياسى بالـكامل .

التـكتيك : هو أسلوب وأستخدام القوات المقاتلة والسيطرة عليها خلال القتال الفعلى .

وبأختصار **فالأستراتيجية هى فن ادارة الحرب والتـكتيك هو فن القتال .**

وبدراستى للحروب عبر التاريخ برزت لى عدة عوامل ثابتة لا تتغير على مر العصور وتمثل مشكلة عويصة أمام القادة وتطلبت منهم الجهد الـكبير لحلها وتـكمن فى **خفة الحركة وقوة النيران** ، وكيف يستطيع القائد تحريك قواته المقاتلة بحرية كاملة ، بينما يحرم خصمه منها؟

وأدى هذا إلى التفـكير الدائم فى زيادة خفة الحركة لنقل قوة النيران إلى المـكان والزمان المناسبين مع تأمينهما ، وهذا تطلب تطوراً كبيراً فى صناعة المركبات المدرعة حتى يمـكن السيطرة على جبهات عريضة ، وأستلزم هــــذا تطوراً موازياً فى مجال الأتصال اللاسلـكى للسيطرة على القوات المتحركة عبر هذه المسافات الشاسعة .

وأصبحت هذه التطورات من العوامل الرئيسية التى تتحـكم فى خطط القادة بل وفى الحرب كـكل .

لذلك نجد أن دراسة أستراتيجية الحملات والمعارك مهم جداً ، حتى نستطيع معرفة .—

ما هو الغرض من الحملة ...؟

ما يريد القائد تحقيقه فى المعركة ... ؟

قد يكون الغرض المطلوب تحقيقه أهمية أستراتيجية كبرى ، ولـكن يجب ان يكون من الممكن تنفيذه من الناحية التكتيكية بما هو متاح من القوات والامكانيات .

القوة البحرية فى الميزان

منذ أقدم العصور والقوة لها تأثير فاصل وحاسم ، وكانت تتمثل فى الماضى فى القوة البحرية وقد ظهر ذلك جلياً عندما أدركت اليونان أثناء حربها مع الفرس أنه من الصعب عليها القضاء على عدوها طالما لديه أسطول بحرى يستطيع به نقل قواته وأمداداته عبر بحر أيجة وأنزالها على الشاطىء اليونانى . ولكن بعد مجهود خارق أستطاعت اليونان بناء قوتها البحرية فتمكنت من هزيمة الفرس فى معركة سلاميس البحرية عام ٤٨٠ قبل الميلاد . وبعد ذلك بسنة سيطرت اليونان على شرق البحر الأبيض المتوسط وأنتهت الحملة الفارسية ، وكان ذلك بداية عهد جديد لليونان تمتعت فيه بالرفاهية والأستقرار التجارى ، وأنشأت خلاله أعظم الحضارات . وتكرر نفس الشىء مع روما عندما أشتعلت الحرب بينها وبين دولة قرطاجة[١] ووجدت من الضرورى أولا تدمير القوات البحرية لقرطاجة ، ولكنها لم تستطع حتي بنت أسطولاً قوياً هزمت به الأسطول القرطاجى الذى كان فى ذلك العصر يعتبر من أقوى الأساطيل التى أصطدمت بها روما .

وفى القرن الثامن عشر كان من المستحيل غزو بريطانيا لوجود قوة بحرية كبيرة لديها ، وقد مكنتها هذه القوة البحرية من هزيمة الأسطولين الفرنسى والأسبانى فى معركة ترافلجار[٢] .

وأستطاعت بريطانيا أيضاً فى عام ١٨٠٨ من إنزال قواتها على الساحل البرتغالى . وبعدها بسنوات هزمت نابليون الذى كان يملك أكبر قوة عسكرية فى ذلك الوقت ، ولكنه كان مقيداً بأستراتيجية القوات البرية ومسيطرة على تفكيره .

ولم تقتصر أهمية القوة البحرية على العصور الماضية بل ظهرت قيمتها بوضوح فى العصر الحديث ، ويمكن ملاحظة ذلك فى معركتى ترافلجار (٢١ أكتوبر) والعلمين (٢٣ أكتوبر) فكل منهما بمثابة نقطة تحول فى حرب طويلة الأمد ضد عدو قوى ينتمى إلى القارة الأوروبية .

---

(١) كانت دولة قرطاجة تقع فى شمال أفريقيا

(٢) ترافلجار هى الطرف الأغر « المعرب » .

فلولا سيطرة الحلفاء البحرية لما أستطاعوا الحصول على النصر فى العلمين لأنهم تمكنوا بذلك من بناء قواتهم البرية ونقل الأمدادات بسرعة أكبر من روميل ، ولولا ذلك لتغيرت النتيجة تماماً ولسيطر العدو على ميدان القتال فى العلمين وربما أمتد وسيطر على مصر وقناة السويس بل وربما الشرق الأوسط كله .

والدرس المستفاد الذى يمكن الخروج به من دراسة تاريخ الدول **أن السيادة الحربية تكون دائما فى يد الدولة صاحبة السيادة البحرية .**

هل القوة الجوية سلاح رهيب ؟

لقد ظهر أن القوة الجوية لها تأثير فعال على الحرب فى البحر والبر . ففى خلال عام ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ظهر فى ميدان جنوب شرق أسيا والباسفيك ، التعاون الوثيق والتفوق الكاسح للقوة البحرية والجوية اليابانية ، عندما شنت اليابان فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ أعنف هجوم جوى يمكن أن تقوم به حاملة طائرات ، فقد أنطلق أكثر من ٣٠٠ طائرة يابانية وقصفت سفن الأسطول الأمريكى فى الباسفيك الراسية فى ميناء بيرل هاربور وأغرقتها . وكان الأمريكيون يعتقدون بأن سفنهم الراسية فى هذا الميناء فى مأمن من الطوربيدات الجوية لضحالة المياه هناك .

وبعد فترة وجيزة من هذا الهجوم القاتل ، أنطلقت الطائرات اليابانية من قواعد برية وأغرقت البارجة الحربية البريطانية « أميرويلز » كما أغرقت الطراد ريبالس البريطانى أمام شاطىء الملايو . وفى عام ١٩٤٢ حدثت معركتان بحريتان بين الأسطولين الأمريكى واليابانى ويعاونهما القوات الجوية ، وقد ظهر بوضوح خلالهما الدور الفعال الذى تلعبه القوات الجوية فى المعارك البحرية الحديثة ، والمعركة الأولى نشبت فى بحر المرجان[١] فى الفترة ما بين ٤ — ٨ مايو ، وأستطاع الأمريكيون صد الهجوم البحرى اليابانى على ميناء مورسبى وبذلك منعوا اليابان من تهديد أستراليا ... أما المعركة الثانية فنشبت أمام سواحل جزيرة ميدواى فى الفترة ما بين ٣ — ٦ يونية ، وأستطاع الأمريكيون بعد حل الشفرة اليابانية ومعرفة خطة العدو والأستعداد له فى شمال وشمال غرب الجزيرة من توجيه ضربة قاتلة لليابانيين .

وقد تميزت معركة بحر المرجان بأنها أول معركة بحرية تتم بدون أن يرى الخصم سفن

---

(١) بحر الكورال « المعرب »

عدوه ، ولم يحدث ضرب مباشر على السفن [١] .

وقد أستخدم القادة ، القوات الجوية فى الحرب البرية للاستطلاع فأستطاعوا رؤية «ماوراء الجبل» وقد تطورت القوات الجوية بسرعة مذهلة مما أصبح من المتعذر على العدو أجراء التحركات النهارية وتطلب منه ضرورة الحصول على السيادة الجوية قبل الدخول فى أى معركة برية .

وبذلك أصبحت القوات الجوية هى السلاح الحاسم فى الحروب ، فأستطاعت القاذفات نقل المعركة إلى العمق وضرب المناطق الحيوية للعدو محدثة خسائر فادحة فى المدنيين والمصانع وبذلك تؤثر على جبهة القتال بطريق غير مباشر فتستطيع القوات البرية الحصول على النصر السريع وبخسائر طفيفة .

القيادة والخيط الذهبى

سيلاحظ القارىء بأن موضوع القيادة سيجرى كخيط من الذهب خلال صفحات هذا الكتاب وسوف أنوه عنه حالياً ولكننى سأكتب بأستفاضة فى الفصل الثانى .

فالقيادة هى قمة الأحساس بل أهم العمد فى الحرب

لذلك يجب أن يتوفر فى القائد بعض المميزات والصفات مع مساهمة بعض العوامل فى صنعه ، ولكن يجب أن يتحلى أولا بصفتين حيويتين وهما : —

١ — القدرة على أصدار القرارات الصحيحة والصائبة

٢ — الشجاعة والجرأة فى تنفيذ هذه القرارات .

وطبعاً هذه الصفات لا تقتصر على القادة العسكريين فقط بل هى لازمة أيضاً فى مجالات أخرى كالصناعة والسياسة .

ويجب على القائد أن يعرف . . .

— ماذا يريد تحقيقه . . . ؟

— يرى هدفه بوضوح ثم يبدأ فى محاولة تحقيقه . . .

---

(١) يقصد مونتجمرى أن الضرب تم عن طريق الحسابات من مسافات بعيدة دون أن يرى الغرض المراد الضرب عليه ، وهذه الطريقة تسمى بالضرب غير المباشر أما الضرب المباشر فهو أن يرى الغرض ويتم التصويب عليه . (المعرب)

— يلم مرؤوسيه الماما تاما بما يريد ، مع معرفتهم للقواعد الرئيسية للسياسة التي سيتبعها مستقبلا .

وفى الواقع يجب أن يمارس القائد قيادة حازمة على أن يكون توجيهه واضحا ، مع خلق ما يسمى « بالجو » ليعيش فيه ويعمل جميع مساعديه وأركانات حربه وقادته الأصاغر ، على أن يكون قادراً على أدارة زمام القيادة والتوجيه ، وله الشخصية والقدرة على بث الثقة فيمن يعملون تحت قيادته ، وأهم من كل ما سبق يجب أن يتمتع القائد **بالشجاعة الأدبية والتصميم وقوة الارادة** ، فالاعتبارات الثلاثة الأخيرة تمكن القائد من الوقوف بثبات أمام الأحداث التي تحتاج للموازنة وأصدار قرار حاسم سريع ، ففى المعركة هناك شيء واحد مؤكداً ، وهو أن كل ما يجرى فى المعركة غير مؤكد ، لذلك فأهم مصادر السيطرة والقوة للقائد خلال المعركة ستنبع من مقدرته على بث الثقة فى الخطة التي وضعها ، ثم يتابع ذلك أثناء سير العمليات ، وخاصة عندما يكون القائد غير متأكد فى قرارة نفسه بأن المعركة ستحقق النتيجة المرجوة .

ولكى يستطيع القائد تطبيق هذه الفلسفة على جميع المرؤوسين ، يجب عليه أن تكون معنوياته شخصياً مرتفعة ، فالمعركة فى الحقيقة عبارة عن **صراع بين أرادتين ... أرادته وارادة قائد قوات العدو** . فإذا ما ضعفت معنوياته نتيجة لقسوة المعركة وأحداثها المفزعة ، فالنصر سيكون من نصيب الخصم المتمالك لمعنوياته .

وفى أعتقادى يمكن تقسيم القادة إلى نوعين : —

١ — قائد عادي جيد : وهو قائد جيد ، طالما يتلقى أوامر مفصلة من قائده الأعلى ، على أن يوجهه قائده الأعلى إلى ما يجب عمله ، ويقف بجانبه ليساعده ويراقبه ويتأكد دائماً بأنه ينفذ كل ما يأمر به .

٢ — قائد ممتاز (عبقرى) : وهو القائد الذى لا يحتاج إلى تعليمات مفصلة بل يكفيه فكرة عامه عن العملية التي سيقوم بها ، ويستطيع تنفيذها بدون معاونة قائده الأعلى وهو مملوء بالثقة والإطمئنان ، ومثل هذا القائد كالطائر النادر جداً جداً .

وسوف نجد أثناء دراستنا لتاريخ الحروب منذ بدايتها حتى العصر الحديث ، أن كثيراً

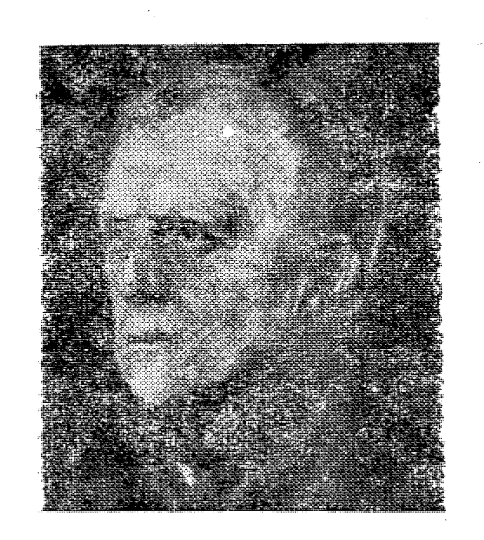
من الشخصيات المعروفة والبارزة ستمر أمامنا على مسرح الحرب ، وبذلك ستكون لدينا فرصة لنقرر بأنفسنا إلى أى نوع من النوعين السابقين من القادة ينتمون . ونستطيع أن نحكم على نوعية القادة من خلال ممارستهم لتخصصهم ، وأيضاً من خلال معتقداتهم ودوافعهم العسكرية .

ويمكنني أن أقول بأن القادة الذين قادوا الحملات وخاضوا المعارك لا لشيء إلا لأسباب سياسية فقط دون الإستعداد لها . . . فإن هذه الحملات والمعارك لم تكن سوى المقبرة التى دفنت وطوت خبرتهم وشهرتهم العسكرية .

والآن وأستكمال للحديث عن القيادة والقادة يجب أن نتحدث عن موضوع هام وحيوى للقادة ويمنحهم العون الكبير قبل وأثناء وبعد المعركة وهو المخابرات والخدمة السرية .

المخابرات والخدمة السرية

لقد كتب بوليبوس[1] بأن القائد يجب أن يؤمن أيماناً راسخاً بوجوب معرفة كل مايتعلق بنزعات وشخصية خصمه . وقال فون مولتك[2] منذ ألفي سنة أثناء مخاطبته لضباطه :



— « ستجدون عند تقدير موقف العدو أن أمامه ثلاثة طرق مفتوحة سوف يستخدم أحداها ولكن وعند القتال الفعلى سيفاجئكم بأستخدام طريقة رابعة » .

لذلك فالقائد الجيد **من يستطيع السيطرة على ما يحيط به من احداث اما اذا سلبته هذه الأحداث سيطرته وتوازنه، فسوف يفقد بعد ذلك ثقة رجاله وبالتالى يفقد اهم مقومات القيادة .**

فون مولتك

لذلك كان لزاماً على القائد أن يكون على علم سابق بنوايا العدو وتحركاته المنتظرة ، حتى يستطيع أتخاذ الأجراءات المعتادة السريعة لمنعه من التدخل وأفساد خطته ، وبذلك يمنع العدو من التدخل فى تحركاته . وهذا أدى إلى ضرورة وجود جهاز مخابرات من الدرجة الأولى ، لأنه حيوى ، ومثل هذا الجهاز يجب أن يكون المسئول عنه ضابطاً يتمتع بأكبر قدر من الذكاء وليس من الضرورى أن يكون ضابطاً

(١) بوليبوس مؤرخ يونانى عاش فى الفترة ما بين ٢٠١ — ١٢٠ ق م.

(٢) فون مولتك كان يشغل منصب رئيس أركان حرب القوات البروسية لمدة ثلاثين سنة بدأت من عام ١٨٥٧ . (المعرب)

متخصصاً فى القتال . فأهم الصفات التى يجب توافرها فيه أن يكون تفكيره ناضجاً ومرتباً ونقياً ، ليستطيع أستخلاص النقط الهامة والرئيسية بالنسبة للعـدو والتى قد تمر من أمامه مصادفة .

ويجب أن يكون هناك إتصال قريب ووثيق جداً بين أجهزة المخابرات وأجهزة الخدمة السرية . والقائد الجيد هو الذى يؤمن بأهمية معرفة ما يفكر فيه خصمه ولا يدخر وسعاً فى المحاولة للحصول على هذه المعلومات . وكنت أثناء قيادتى لقواتى أحتفظ فى عربة قيادتى بصورة فوتوغرافية معلقة لقائد الأعداء ، فى كل من صحراء العلمين ونورماندى ، ولم تتغير هذه الصورة الفوتوغرافية . . . فكانت لروميل . وكنت دائماً أنظر إليها متمعنا فى قسمات وجهه محاولاً الوصول إلى ما يمكن أن يقوم به هذا العقل المتوارى خلف هذه القسمات عند قيامى بتنفيذ خطتى . . . وليصدقنى القارىء أن ذلك ساعدنى كثيراً . . . ومرة أخرى أكرر أن دراسة قادة العدو عامل هام وضرورى جداً .

أثناء سير المعارك الحربية ، قد تخرج المعركة وبسرعة عن مسار الخطة الموضوعة لها ، وإذا حدث ذلك أنتقل زمام المبادأة إلى العـدو ، فالدرس الذى تخرج به وتعلمته طوال مدة خدمتى العسكرية الطويلة ، هو أنه إذا **فقد القائد المبادأة ، أصبح من المستحيل أن يحقق النصر** ، ومن هنا تظهر أهمية وخطورة المخابرات والخدمة السرية التى تتولاها الحكومة المركزية وتتضمن عمليات الجواسيس والمخربين والعملاء السريين ، وكل هذه العمليات بصفة عامة تعتبر خارجة عن نطاق القانون سواء المحلى أو الدولى ، وبالتالى يمكن أن يقال أنها من العمليات البغضية إذا قورنت بالعمليات الأخرى التقليدية التى تخدم القيادة ، ولكن بالرغم من ذلك ، فقد أثبت التاريخ بالرغم من هذه النظرة البغيضة إلى عمليات الخدمة السرية ، أنه لم يحدث مطلقاً أن قامت أى دولة بالحد منها لأنها تزيد من قوة وفاعلية هذه الدولة .

الروح المعنوية :

نجد أن عوامل القيادة والسيطرة تلعب الدور الرئيسى فى تحقيق النصر خلال المعارك ، ولكن يوجد عامل حيوى وهام يتوقف عليه النصر أيضاً وهو الروح المعنوية للمقاتل .

وقد ظهر أن أفضل الطرق لرفع المعنويات خلال الحرب هو الحصول على النجاح فى

المعركة . ويجب أن نعلم أن **المادة الخام التى يتعامل معها القائد هى الرجال** ، لذلك فمن الضرورى ، بل ومن الحيوى أن نعرف أن النصر يتم أولا وقبل كل شىء ... فى قلوب الرجال . ومن الخطـــأ النظر إلى القوات المسلحة على أنها مجموعة من الأفراد المزودين بعدد ضخم من الدبابات والأسلحة ، فقوتها ليست فى مجموع هؤلاء ، بل القوة الفعلية تنبع مما هو أعظم بكثير من مجموع الأفراد والدبابات والأسلحة ... فالقوة الحقيقية تكمن فى **الروح المعنوية ، والروح القتالية والثقة المتبادلة بين القاده والجنود** (وخاصة بين القادة الميدانيين والقيادة العليا) وهذه هى الدعامات التى تؤكد وتدعم النصر .

وهناك أيضاً عاملان يلعبان دوراً هاماً فى المعركة **وهما الضبط والربط .. والزمالة** (زمالة السلاح) ولذلك يبرز لنا السؤال التالى : — ما هو الدافع للجندى ليخرج من خندقه أو حفرته التى تحميه من رصاص الإعداء ، ويتوجه للأمام ويواجه الرصاص أو قذائف المدفعية معرضاً نفسه للموت ؟

السبب الرئيسى فى هذا الأندفاع الجرىء هو قائده الذى يتقدمه وزملاؤه المحيطون به ، **فالزمالة تجعل الجندى يشعر بالدفء والشجاعة عندما تحاول غرائزه تحويله الى شخص بارد خائف .**

ويجب على القائد تفهم القوى العاطفية الفياضة الكامنة فى صدور الرجال ، ويجد لها متنفسا أو مخرجا أيجابيا وبناءا وبطريقة تدفىء القلوب وتثير وتلهب الخيال .

وفى العصر الحديث ، إذا قابل القائد مشكلات جنوده الأنسانية بطريقة باردة ومجردة من الشعور الحقيقى ، فلن يحصل منهم إلا على القليل ، ولكنه إذا أستطاع كسب ثقتهم وأيمانهم ، وجعلهم يشعرون بأنه يرعى مصالحهم ، وأنهم بين أيدى أمينة عليهم ، يكون بذلك قد أمتلك رجالا ذوى مستوى عال ونادر معنويا وقتاليا وحقق فى نفس الوقت أعظم ما يمكن أن يحققه قائد . والنصر فى المعركة لايتحقق كما ذكرت ، إلا بواسطة الروح القتالية العالية للجنود والضباط فى الميدان ، مهما كانت نوعية ضباط القيادات العليا .

وعندما تحدثت عن علاقة القائد والجنود ، بدأت بكلمة « العصر الحديث » لأن الحال لم يكن هكذا فى العصور الماضية ، وعلى كل فالقادة فى أى عصر مسئولون عن كسب

الحرب . وقادة العصر الحديث يقومون بذلك ولكن بأقل ما يمكن من الخسائر فى الأرواح ، أما خلال العصور الوسطى فلم تكن للقوة البشرية أى أعتبار وليست ذات قيمة ، لأن العبيد كانوا يعملون فى الأرض وبعد ذلك يستهلكون فى المعارك . أما فى القرن الرابع عشر فقد توالت سلسلة من الأوبئة وأصبحت القوة البشرية نادرة جداً ، فقد حصدت هذه الأوبئة أعدادا مخيفة من البشر حتى سمى هذا العصر ، بعصر « الموت الأسود » فنتج عنه أرتفاع قيمة هؤلاء العبيد وبذلت الجهود للمحافظة على حياتهم .

نعود ثانية للعصر الحديث ، فنجد أن معظم الدول بدأت تطعم قواتها المسلحة بعناصر من المدنيين المحترفين لأعمال فى البحر والجو وهؤلاء الأفراد لم يفكروا مطلقا فى الأنخراط فى سلك الجندية .

وهؤلاء يختلفون تمام الأختلاف عن العبيد الذين كانوا ينزعون من أعمال الأرض إلى الحرب ، لأن هؤلاء المدنيين مثقفين ويمكنهم التفكير والتقدير بل والنقد أيضاً ، ويهمهم دائماً معرفة ما يجرى ، وما يريد القائد أن يقوم به ... ولماذا ... ومتى ... ؟ ويهمهم أيضاً أن يتأكدوا من أن قائدهم يعمل ما فى صالحهم ، وأنهم بين أيدى أمينة ،ولذلك يريدون دائما رؤيته حتى يرسموا فى أذهانهم صورة له فيعرفوا من أى نوع من البشر هذ القائد ... ؟ وبذلك ترتفع روحهم المعنوية .

الحرب الشاملة .

وأعتقد أنه أصبح واضحا الآن مما كتبته ، أن الحرب لها **جوانب انسانية** أيضا ، وللأسف أهملها كل المؤرخين ، وسأحاول الأشارة إلى هذا الموضوع عبر فصول هذا الكتاب ولن أغفر لنفسى مهما كانت الأعذار ألا أكتب عن هذا الجانب الأنسانى . فالجانب الأنسانى فى الحرب هو أهم جوانبها لأن التعب والخوف والرعب والحرمان وتحمل الموت ... سوف يواجهها الجندى المقاتل بقلب جسور إذا كان على علم وأيمان بالغرض الذى يقاتل من أجله ويثق فى ضباطه ورفاقه ، وفى نفس الوقت يعلم أنه لن يطلب منه تحقيق مالا يكون فى أستطاعته ...

لذلك يجب أن يكون كل ماسبق محل أعتبار الدارسين للحرب ، وخاصة من تكون مهمتهم الأصلية هى الحرب والقتال فقط .

والحرب الحديثة قد أزدادت صورتها تعقيداً من الماضى حتى الآن ، وعلى كل فهى النوع الذى يشمل كل أوجه الحياة والنشاط للدولة فترة طويلة بما فى ذلك معنويات هذه الدولة .

والحرب الشاملة فى العصر الحديث تمتص كل جهود القوى العاملة رجالا ونساء ... وتحول كل قوى الصناعة لسد الحاجات الضرورية للمجهود الحربى .

وأثناء هذه الحرب يكون المرء دائما محوطا بالخطر سواء إستدعى للخدمة العسكرية أو كلف بأى عمل مدنى أو صناعى ، فالخطر يصبح ماثلا فى كل مكان وأدى هذا إلى ضرورة وجود نظام خاص يكفل حماية المدنيين داخل المدن ، وسمى هذا « بالدفاع المدنى » أو « الدفاع الوطنى » .

تلك الحقائق أدت أن أصبحت الحرب الحديثة أمرا بالغ التعقيد ، لذلك لم تعد القوى الكبرى تستعد للحرب بالوسائل التقليدية ، بل أضطرت إلى أن تجهز نفسها بنوع آخر من الحروب ... وهى الحرب النووية . ولهذا سعت الدول لتضمن أمنها وبقائها إلى توجيه كل أمكانياتها العلمية والتكنولوجية إلى التوصل لأحدث وأقوى أنواع الأسلحة الحديثة على أن يتمشى ذلك مع الأستعداد للحرب النووية .

الفصل الثاني

القيـــادة

العلم وفن القيادة

خلال فترة الحرب ما بين ١٩١٤ — ١٩١٨ ، قال كل من بريان ولويد جورج نقلا عن توليراند بأن « الحرب من الأمور البالغة الخطورة ويجب ترك تصريف شئونها للعسكريين فقط » وطبعاً هذا صحيح جداً ، ولكن يمكن أيضاً أن يقال « الحرب من الأمور البالغة الخطورة ويجب أن يتولى شئونها السياسيون فقط . »

والحقيقة أن الحرب الحديثة تتطلب وجـــود تعاون وثيق بين كل من العسكريين والسياسيين ، لأن هذا أمر ضروري وحيوي وإذا لم يحدث هذا ، فستكون النتيجة الموجوة من الحرب مشكوكا فى تحقيقها .

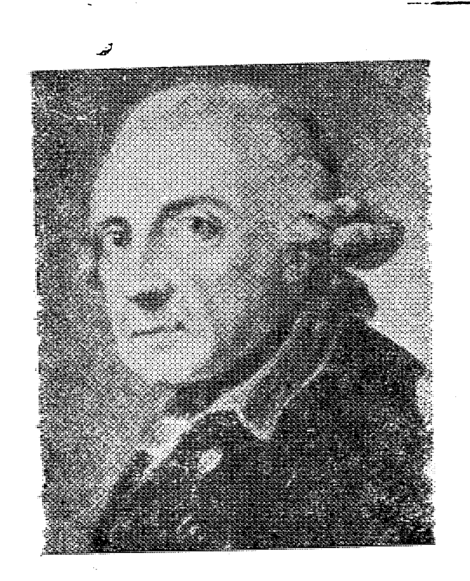
والآن ... ليدعنى القارىء أقدم وجهات النظر فى مسئوليات العسكريين الذين يقصدهم توليراند ، فنجد أن كلمة « قائد » يشمل معناها كل الرتب العسكرية الـكبرى التى تعمل فى خدمة الحرب والقتال ، وإذا بحثنا عن معنى القيادة فى قاموس أكسفورد لوجدنا أنها تعنى « مكتب الجنرال ، الأستراتيجية ، المهارة العسكرية ، الأدارة الناجحة ، التـكتيك ، الدبلوماسية ... » أما التعريف الذى أضعه لهذه الـكلمة فهو : —

علم وفن القيادة .

فهى علم لأن الضباط يجب أن يدرسوها نظريا ... وهى فن لأن هذه الدراسة النظرية تحتاج للتطبيق العملى ، ويجب أن تتضمن القيادة مع كل هذا المعرفة الحقة للأعماق البشرية .

وقد كتب ماوتسى تونج الذى يعتبر بلا منازع قائدا عظيما فى كتابه بعنوان « كتابات حربية مختارة » قال : — أن القوانين والنظريات العسكرية ما هى إلا حصيلة وخلاصـــة الحروب الماضية والتى وضعها الأقدمون أو المعاصرون ، وهذه الخلاصة يجب علينا دراستها

دراسة عميقة وأختبار نتائجها على ضوء ما أكتسبناه نحن من تجاربنا ، ثم أستيعاب الجوانب القيمة لهذه النتائج مع رفض الضار منها وأضافة ما يمكن أضافته إليها من خبراتنا ، والأضافة الأخيرة هامة جداً ، وإلا فلن نتمكن من تطوير وتوجيه الحرب ، وعلى كل القراءة تعنى المعرفة ، ولكن تطبيق هذه المعرفة هو أهم ما فى القراءة من جوانب » .



فردريك الأكبر

وماوتسى تونج على حق ، فأنا أذكر خلال فترة الحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ أننى أقترحت على أحد الضباط الألتحاق بأحدى الكليات العسكرية للضباط الأصاغر فى فرنسا ، فما كان منه أن ضحك من أقتراحى هـذا وقال : « إن الخبرة الفعلية للضباط لاتأتى إلا خلال المعارك والقتال فى الخنادق . » ولكننى ذكرته بما قاله فريدريك الأكبر عن الضباط الذين يعتمدون فى دراستهم وخبرتهم أشتركوا فى معارك كثيرة فقط فقال : — « كان لدى زوج من البغال أشتركوا معى فى أكثر من أربعين معركة ، ولكن بعد أنتهاء كل هذه المعارك مازلا بغلين ... »

فالدراسة النظرية والتطبيق العملى كلاهما ضرورى ، فيجب دراسة علم الحرب أولا ثم يتم تطبيق هذه الدراسة فى المعارك ثانياً . والأعتبار الأول ممكن القيام به دائماً ، وليس هناك أى عذر لأهماله ، أما الأعتبار الثانى فربما لا يتوفر ، ولكنه توفر لى كثيراً .

وسنجد أن قدراً كبيراً من الخبرة العظيمة والتجارب الكثيرة مدفونة تحت أنقاض الماضى السحيق والعصور المتعاقبة للحروب ، ولن يستطيع القادة الإستفادة من هذه الخبرة إلا بوجود المؤرخين العسكريين لكى يخرجوها من تحت أنقاض هذا الماضى ، وفى نفس الوقت لن يستطيعوا إستيعابها بدوننا نحن جنرالات وأدميرالات العصر الحديث ، لأن وجودنا حيوى لنقد وأختبار خبرات ذلك الماضى ، ولولا هذا لأختلطت الأمور وتشابكت الصور ، لأن القيمة الحقيقية للحروب الطويلة فى الماضى ، هى الخروج بالحقائق واستخلاص العبر والدروس المستفادة، وليس فى الدخول فى متاهات المناقشات فيما كان يجب أن يكون ...

فالمهم الخروج بالحقائق أولا ثم بعد ذلك لتكن المناقشة وليكن الرأى . . .

دراسة التاريخ العسكرى .

لقد كان استمتاعى بكتابة هذا الكتاب أكثر بكثير من أننى الشخص الملائم لكتابته ، وخاصة لو عرف القارىء أننى بدأت حياتى ضابطاً صغيراً ليس له أى تجارب أو خبرة وألتحقت بكتيبة فى الهند عام ١٩٠٩ وأخذت أتدرج فى المناصب القيادية حتى وصلت إلى أعلى القيادات ، وكانت عادتى دائماً طوال هذه المدة (ولا زلت حتى الآن) القيام بدراسة الماضى دراسة عميقة محاولا البحث عن كل ماله أهمية لأيضاح وأنارة طريقى فى الحاضر والمستقبل . ولذلك قمت بدراسة التاريخ العسكرى دراسة شاملة وواسعة ولكنها كانت محصورة فى حدود الكتب التى وضعها المؤرخون البريطانيين من أبناء عصرى ، إلا أننى حاولت دراسة كتب غيرهم مثل كلاوزفيتز الألمانى وجوميني السويسرى ، وكلاهما من الكتاب العسكريين ذائعى الصيت ، إلا أننى تعثرت مع كتاباتهم فعدت ثانية إلى دراسة كتابات المؤرخين من أبناء بلدى ولغتى .

وأول كتاب تناولته كان كتاب « علم الحرب » بقلم ج . ف . ر . هندرسون وهو عبارة عن مجموعة محاضرات نشرت للمؤلف بعد وفاته . وبعد ذلك قرأت كتاب « الحرب الأهلية الأمريكية » لنفس المؤلف وقد أثارنى جداً وأستمتعت به أستمتاعا كبيراً . ثم وجدت أننى أستطيع الأستفادة والتعلم أكثر لو قرأت كتبا للمؤرخين المعاصرين ، وركزت بصفة خاصة دراستى على قادة الأمس العظام لأعرف **كيف كانوا يفكرون ويعملون . . ؟**

كيف استخدموا ما اتيح لهم من أمكانيات . . ؟

ولم تشغلنى الطريقة التفصيلية لتوزيع وتنسيق القوات المحاربة فى أى عصر مضى ، بل كنت دائما أبحث عن **المشكلات التى كانت تواجه القائد اثناء المعركة . .**

ما هى العوامل التى أثرت وسيطرت على قراره . . ؟

وما هو قراره . . ولماذا . . ؟

أردت أن أعرف ماذا كان يدور فى رأس هذا القائد العظيم عندما أصدر قراره . . ؟

وكان ذلك يمثل فى نظرى الدراسة الحقة والأكيدة للقيادة .

وقد تأثرت بعدد من المؤرخين العسكريين المعاصرين البريطانيين ومنهم بازيل ليدل هارت وهو من الكتاب الممتازين فى هذا المضمار لتميزه بالوضوح المطلق والكتابة السلسة، علاوة على أنه خبير فى مجالى التحليل والتعليق ، وكانت تربطنى به صداقة لأكثر من أربعين عاما ، وقد تتبعت خلالها كل مؤلفاته ، وقد أثرت طريقة تفكيره العسكرى تأثيراً بارزاً فى قيادتى طوال مدة خدمتى وأثناء الحرب الأخيرة .

ومن المؤرخين أيضاً الذين تعلمت الكثير من كتاباتهم سير آرثر بريانت والمرحوم ج . ف . س . فوللر وأيضاً سيريل فولز و أ . ج . تايلور ، والأخير كتب أفضل الكتب وخلالها أمكننى التعرف على المشكلة الألمانية ، وهذا الكتاب إسمه « الأسباب الرئيسية للحرب العالمية الثانية » . وبعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ يظهر جيل جديد من المؤرخين العسكريين الشبان ، ولم يتمكنوا بحكم حداثة سنهم من رؤية خبايا الحرب، ومن أبرز هؤلاء فى رأيى كوريللى بارنيت ، فكتابه «حملة السيوف» من الكتب ذات المستوى العالى وضمنه دراسة لبعض القادة الذين أشتركوا فى حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ وأبرز ما فيه القوة الفائقة فى التحليل والتعليق . ومن هؤلاء أيضا آلان كلارك الذى أعجبنى كثيراً كتابه « بأرباروسا » وهذان الكاتبان ينتظرهما مستقبل باهر ، وجميع مؤلفاتهم جديرة بالقراءة من القادة على جميع المستويات .

علم الحرب .

من الأمور الطبيعية أن المهارة العسكرية للقائد تحتاج إلى دراسة نظرية أولا وذلك عن طريق دراسة علم الحرب ، لأن الفرصة لا تسنح دائماً للقائد للقيام بحرب عملية حقيقية فى أى وقت ، ولهذا كان أعظم القادة دائماً من الدارسين للتاريخ العسكرى .

وقد كتب بسمارك : « **اكثر الرجال حكمة هم اكثرهم استفادة من تجارب الغير** »

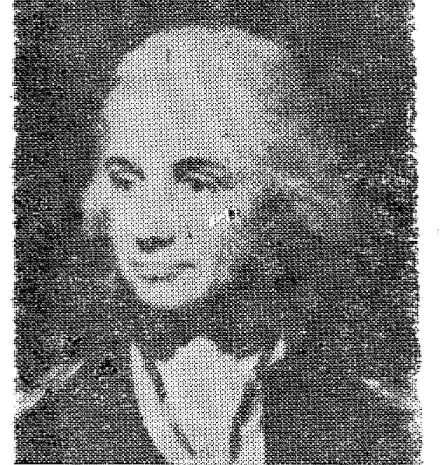
وقال ت . د . لورانس : « إن وراءنا نحن أبناء القرن العشرين ألفى سنة من الخبرة والتجارب ، فإذا أجبرنا على القتال ، فليس لنا أى عذر إذا لم نحارب جيداً » .

ومن خلال قراءاتى الطويلة عبر السنين ، أقتنعت بأنه لا يمكن لأى قائد فى القرن العشرين أن يصبح قائدا عظيما وممارساً ممتازاً لفن الحرب ، إذا لم يقم قبل كل شىء بالدراسة

والتفكير العلمى للحرب . وعلى ضوء تجاربى الشخصية فى قيادتى أثناء الحرب الأخيرة ، خرجت بمبادىء رئيسية ونتائج محددة حول القيادة منها أن من أولى مسئوليات قائد القوات أن يخلق ما يسمى « بالوسط أو الجو » الذى من خلاله سيعيش ويعمل ويقاتل كل أركانات حربه وقواده المرؤوسين وجنوده ، على أن تعرف وتلم قواته **بما يريد . . ؟ ويكونون على علم تام بالأسس الرئيسية لسياسته المستقبلة ، مع توجيه القوات توجيها حازما فى ظل قيادة واضحة .**

فى نفس الوقت يجب أن يصدر التفكير والتوجيه من القيادة العليا على أن ينتشر تدريجياً حتى يعم جميع القوات .

وإذا تم ذلك فالجميع سيسيرون للأمام كل فيما هو مرسوم له فى الخطة وبذلك ستكسب القوات عاملين هامين هما **التوازن . . والتماسك** . . . وطبعاً يمكن أن نعرف ما تستطيع مثل هذه القوات أن تحققه فى المعركة . . ومن القادة الذين طبقوا هذه المبادىء كاملا هو نيلسون .



نيلسون

وبعد أن يحقق القائد هذه العوامل أو المبادىء المعنوية يجب عليه أن يوفر المبادىء المادية من توفير المعدات الحربية اللازمة للمعركة مع الحصول على أقصى طاقة وجهد لهما ، ويتطلب هذا أن يكون على معرفة كاملة بإدارة الحرب وفى نفس الوقت يقوم بتدريب قواته تدريباً شاقاً متواصلا على هذه المعدات .

ويجب أيضاً أن يتواجد فى مركز قيادته جهاز يستطيع توجيه جميع الأسلحة والمعدات بكفاءة وبسرعة مع دفعها إلى ساحة القتال بطريقة مدروسة لتحقيق أكبر قدر من النجاح ، ويجب أن تعرف القوات كل هذا . ويتضح لنا مما سبق أن أدارة مسرح المعركة أصبح حيوياً ومن أولى أختصاص القادة .

مشكلات الحرب

لقد ظهر للقادة بعض عناصر رئيسية يتوقف عليها القتال فى المعركة ويجب تحقيقها للحصول على النصر وهى :

١ — المفاجأة . ٢ — تركيز الجهود .
٣ — التعاون بين جميع الأسلحة والقيادات والقوات . ٤ — السيطرة .
٥ — البساطة . ٦ — سرعة التصرف . ٨ — المبادأة .

علاوة على ذلك يجب على القائد أن يكون واضح التفكير ، قادراً على أستخلاص العوامل الهامة فى المشكلة التي تحيط به ثم يتمسك بها ، على ألا تغيب عن بصره ولا يسمح للتفاصيل الكثيرة أن تغرق ما حصل عليه ، لأنها هى أسس النجاح .

والمشاكل الحربية فى جوهرها بسيطة ، ولكن القدرة على تبسيطها واستخلاص الهام منها هو الصعب ، ويجب على القائد أن يتميز بهذه القدرة مع تحليه بصفة بعد النظر .

وقد يتعرض القائد للفشل إذا لم يكن عقله منظم وتفكيره نقى فى جميع الأوقات ، ويجب عليه الاعتدال فى التدخين وشرب الخمر .

يجب على القائد أيضاً أن يضع خطة العمليات بنفسه ولا تفرض عليه من قبل أركانات حربة أو تحت تأثير أى ظروف أو بواسطة العدو ، لأن أقصى ما يطمع فيه العدو أن تتاح له الفرصة ليملى أرادته على المعركة ، ولكن يمكن للقائد إحباط ذلك بأفقاد العدو لتوازنه باستخدام خفه الحركة وأجباره على الأذعان لتحركاته وتهديده مع أستخدام عامل المفاجأة ، وهنا تظهر حنكة وبراعة القائد فى المناورة والخداع مما يجعل العدو يتصرف ويتحرك طبقاً للضغط القوى التواصل لهذا القائد .

المفاجأة .

المفاجأة من العوامل الرئيسية لنجاح المعركة ، ولكن نجد دائماً أن من الصعب

تحقيق المفـــــاجأة **الاستراتيجية**[١] بينما يمكن تحقيق **المفاجأة التكتيكية** التى دائماً تتبوأ الصدارة أثناء وضع الخطة لأن القائد يجب أن يجبر عـــدوه على الرقص على ما يصنعه من أنغام طول الوقت . وهذا يتطلب أن يتنبأ القائد ويتخيل ما ستكون عليه معركته ، أى يقدر الموقف قبل بداية المعركة ثم يتصور ما يجب أن تكون عليه العمليات ، وبعد ذلك يستخدم جميع الإمكانيات المتوفرة له لإجبار المعركة على السير فى الطريق الذى رسمه ويريده .

وأثناء سير العمليات سيحاول العدو أن يفقـــد قائد الخصم توازنه بالقيام بالهجوم والتهديد المضاد وهذا ما لا يجب أن يسمح به إطلاقاً عبر أرض المعركة ولذلك يجب أن تتمتع القوات بتوازن تام وضبط وربط عاليين ، وهذا يتطلب أن يكون الهيكل العام لتوزيع وتنسيق القوات جيداً حتى يصبح من المستحيل على العدو أن يفرض سيطرته عليها .

ومن أبرز علامات القيادة الممتازة **المهارة فى توزيع**[٢] **القوات قبل المعركة ، على ان يسهل اعادة تجميعها لمقابلة ما يطرأ من تطورات على الموقف التكتيكى .**

مناورة افقاد التوازن .

كما ذكرت فى بداية هذا الفصل أن من أهم صفات القائد أن يستطيع **متابعة وفهم عقلية خصمه** ، وبذا يقدر على قطع الطريق ، مقدما على جميع محاولات خصمه لأحباط ما وضعه من خطط ، كما يمكنه أيضاً التحرك أسرع من تحرك خصمه المضاد . وبالطبع فالقادة يختلفون ، فكل منهم له طريقة وأسلوب ينبعان من دراسته وتجاربه وعقليته . أما بالنسبة لى شخصياً فكان أسلوبى يعتمد على **المناورة التى تفقد العدو توازنه فى نفس الوقت احتفظ بتوازن قواتى بالكامل** ، ويطلق على هذه المناورة **مناورة افقاد التوازن .**

---

(١) المفاجأة الاستراتيجية : تعنى إخفاء نية وقوة وموعد واتجاه الضربة الرئيسية ، أما المكافأة التكتيكية فتماثل المفاجأة الاستراتيجية ما عدا بند النية .

(٢) يقصد مونتجمرى ليس عملية التوزيع فى حد ذاتها ، بل المهارة فى التأكد ، أن جميع الوحدات قد اختيرت ووزعت بحيث تتلاءم مع الغرض التى ستحققه . (المعرب)

وكنت أهدف دائما أثناء تخطيطي للمعركة أن أجعل العدو يبعثر قواته الاحتياطية على جبهة واسعة لكي يسد بها الثغرات التى حدثت فى خطوطه الدفاعية ، وعندما يحدث ذلك أقوم على الفور بدفع قواتى الاحتياطية لتوجيه ضربات عنيفة للعدو وعلى جبهة ضيقة ، وفى هذا الوقت أحاول تكوين أحتياطى جديد يكون على أستعداد لأى تصرف مفاجىء يقوم به العدو .

المبادأة .

يجب عندما يمتلك القائد زمام المبادأة ، أن يحرص عليها ولا يدعها تفلت منه مطلقا مهما كانت الظروف ، لأن المبادأة وحدها تجعل العدو يرقص على نغمات هذا القائد ، أما إذا فقدت المبادأة أمام عدو محنك فستصبح جميع التحركات تخضع لتهديد العدو وضغطه . وهذا كفيل بخسارة المعركة ، ومن السهل أن تفلت المبادأة من القائد إذا كانت العمليات تجرى على نطاق واسع وشامل ، ولكن يمكن منع حدوث ذلك ، بمسك زمام المعركة بقبضة محكمة مع تعديل الخطة لتتناسب مع التغيير الذى طرأ على الموقف التكتيكى ،وعلى كل فيجب على القائد أن يفكر فى معركتين ، الأولى فى وضع الخطة والثانية فى تنفيذ هذه ، الخطة والنجاح فى الأولى هو نقطة الانطلاق للنجاح فى الثانية .

ويجب دائما أن يكون الشاغل الأكبر للقائد فى وضع الخطة والمشكلات التى تعترضها ، ولكنه لا ينسى مطلقا أن **المادة الخام التى يتعامل بها هى . . الرجال ، فالقيادة فى الحقيقة مشكلة انسانية** .

الثقة بين القائد والجنود :

لقد ظهر أن الجنود يصيبهم شعور كبير بالوحدة أثناء المعركة وأذكر أننى شخصيا تعرضت لهذه الوحدة فى فترة حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ وكنت أقود أحدى الدوريات الليلية عبر منطقة العدو وقد حدث أكثر من مرة أن فقدت الأتصال برجالى فأصبحت وحيداً وقريباً جداً من العدو .

وأعترف بأننى أحسست بالخوف فى ذلك الوقت ، لأنها كانت أولى تجاربى فى الحرب وبالطبع أعتدت بعد ذلك على هذه المواقف .وعندما أصبحت قائداً كبيرا وضعت نصب عينى

أهمية معرفة الجنود بوجود قادة من مختلف الرتب يقفون خلفهم ويعملون كل ما فى جهدهم للعناية بهم والقائد الذى يحرص ويعنى أشد العناية بالمحافظة على أرواح رجاله يستطيع أن يحقق النصر بأقل خسائر فى الأرواح لأنه يحصل على ثقة جنوده ، وبذلك سيتبعونه عن إيمان وثقة راسخة . لذلك أصبح لزاما أن يتواجد القائد بين جنوده ، وكان أسلوبى فى حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ التواجد بين رجالى والتحدث معهم بقدر إستطاعتى ، وأحيانا كنت أتحدث إلى عـدد كبير منهم من خلال نافذة عربتى الجيب عندما أصادفهم فى الطريق وأحيان أخرى وهم فى خنادقهم أو دشمهم يقفون خلف أسلحتهم .

وفى أوقات أخرى كنت أوجه الحديث إليهم بطريق غير مباشر عن طريق الرسائل المـكتوبة فى الأوقات الحرجة وذلك أثناء القتال أو قبل بداية المعركة ... وكانت مثل هذه الرسائل تشحذ عزيمتهم وتساعدهم على تنمية روح الفريق ، فيقاتلون بثقة للحصول على النصر . وكان السير دوجلاس هيج لا يتبع هذه القاعدة بل يتفقد قواته فى صمت تام ، وهناك قصة تروى عنه بأن أحد أركانات حربه أقترح عليه فى يوم من الأيام أن يتحدث إلى الجنود أثناء المرور عليهم لأن هذا سيحدث أثراً طيباً فى نفوسهم ، وعمل هيج بالأقتراح ، ووقف مع أحد الجنود وسأله : ـ كيف بدأت الحرب . . ؟ فأجابه الجندى محملقاً : أنا لم أبدأها يا سيدى . . . بل القيصر هو الذى بدأها ! ! ؟ ؟ . .

وطبعاً لم يعلق هيج على هذه الإجابة غير المنتظرة ، وعلى كل حال فهذه الـكلمات الصادقة يجب أن يعمل حسابها أثناء قيادة الرجال .

ومن المهام الرئيسية للقائد العمل على أستمرار تدريب قواته للحرب المنتظرة وما قد يحدث خلالها من عمليات خاصة ، حتى يثق الجندى ثقة مطلقة فى **سلاحه ومقدرته على استخدامه بكفاءة فى مختلف الظروف وعلى جميع الاراضى وفى جميع الاحوال الجويه .** ويمـكن تنمية هذه الثقة عن طريق التدريب المتواصل حتى يـكلل بالنجاح فيصبح من أهم العوامـــل الرئيسية لرفع الروح المعنوية للقوات . ويجب القائد ألا يـكون شحيحاً فى توزيع

ثنائه على من يستحق هذا الثناء لأن جميع البشر يحبون أن يثنى عليهم إذا شعروا بأنهم قاموا بعملهم على خير وجه . وقد أخبرنى ذات مرة السير ونستون تشرشل عما أجاب به دوق ويلنجنون رداً على سؤال وجه إليه فى آخر أيامه ، وكان هذا السؤال هو : إذا أعطيت لك الفرصة لتبدأ حياتك من جديد فما هى الوسيلة التى تجعلك تؤدى عملك أحسن مما قدمته حتى الآن ؟ .



دوق ولنجتون

وكانت أجابته : **« الوسيلة لذلك ان أحصل على المزيد من الثناء »**

الصلابة

إذا قمنا بدراسة الطرق والأساليب التى أتبعها القادة فى الماضى ، فنستطيع أن نعرف الجوانب العملية للحرب فى ذلك الوقت وكيف كانت تدار ؟ ومن ناحية أخرى سترسم لنا هذه الدراسة صورة للتطور الذى مر به فن الحرب . وسيرى الدارس أن المبادىء التى أتبعت فى الماضى سيتوالى تكرارها عبر التاريخ ولكن الظروف فقط هى التى ستختلف . وبالرغم من أن أسلحة الحرب أصبحت أكثر قوة ، وأزدادت مشكلات ميدان القتال تعقيداً ، إلا إننا سنجد أن جوهر وأسس الحرب اليوم هى نفسها التى كانت فى عهد الاغريق القدامى ، والتى ظهرت فى المعارك التى نشبت بين روما وقرطاجة . . وعلى مر القرون ، أخذ القادة على أختلاف رتبهم يواجهون رغماً عنهم مشكلة **الادارة** أو كما يسمونها **مشكلة الشئون الادارية** ، وقد تعلمت أنا شخصياً من خلال تجاربى الشاقة ، **أن الموقف الادارى فى مؤخرة القوات يجب أن يتكافأ تماما مع ما أريد تحقيقه من مهام فى المناطق الامامية أثناء المعركة** ، وخرجت أيضاً بدرس آخر وهو الحاجة إلى الصلابة أو بمعنى أصح **المقدرة على الثبات أمام صدمات الحرب** التى ليس هناك أدنى شك فى وقوعها ، تماما كما نعرف أن الليل سيعقبه النهار . وقد عبرت فى السطور السابقة عن مشاعرى عندما كنت ضابطاً صغيراً أقود أحدى الدوريات الليلية عبر خطوط العدو ، وما شعرت به من وحدة ، ولكن هناك أيضاً شعور بهذه الوحدة أو العزلة فى مجال القيادة العليا . والقائد الأعلى للقوات له مسئوليات

جسام يجب ألا يترك تصريف أمورها لأركانات حربه أو مرؤوسيه ،لأنه الوحيد الذى يجب أن يصدر القرارات ، وهو المسئول الوحيد أيضاً عن نجاحها أو فشلها وتقع مسئولية أرواح رجاله فى عنقه .

وتتجلى مظاهر المسئولية فى القيادة وبصفة خاصة فى وقت الشدائد والمحن ، ويعتبر ذلك أقسى أمتحان يمر به القائد ، وقد مر كل من ويلنجتون ونابليون بهذا الأمتحان ، كما أننى مررت به شخصياً ولكن على نطاق أضيق فى نورماندى عام ١٩٤٤ . فعندما لا تسير الأمور طبقاً لما هو مخطط لها ، فجميع الأبصار تتجه إلى القائد الأعلى لتستلهم منه الثقة وتسأله : ماذا نفعل الآن ؟ .

وفى مثل هذه الأوقات العصيبة ، يجب على القائد بجانب قيادته لقواته أن يقوم أيضاً بقيادة نفسه ... وأنا أعلم تماما أن قيادته لنفسه لن تكون بالشىء السهل .

فنجد أن « لى » أستطاع أثناء الحرب الأهلية الأمريكية من أستعادة ثقة رجاله وأخلاصهم بالرغم من أنه لم يحقق النصر لهم . وقد كتب ويفل عن « لى » : —

لقد كان رجلا مهذبا فى مواجهة اشرس مواقف القتال .

ضباب المعركة الكثيف

ولنعد الآن إلى الموضوع ذكرته فى بداية حديثى عن القيادة وقلت أنها مهمة فى الحياة العسكرية أو السياسية ، فنجد أن القادة السياسيين إذا فشلوا فى تسوية منازعاتهم الدولية بطريقة سلمية ، فستظل دفة الحرب فى أيدينا نحن العسكريين ، أما إذا لجأت الدولة للقوة المسلحة لتحقيق أغراضها السياسية ، أو أن هذه الدولة نفسها هوجمت ، فستصبح مسئولية توجيه الحرب فى أيدى السياسيين وليس العسكريين .

وعلى كل سيجد القادة العسكريون صعوبة بل أستحالة لتحقيق النجاح لحكومة مذبذبة غير مستقرة ، تنقصها الشجاعة والبصيرة الواضحة وليس لديها أى تقدير لما هو هام وما هو غير هام فى المعارك المنتظرة .

فمن المهم بل ومن الحيوى أن يكون هناك نوع من اللغة التى تربط بين الأهداف السياسية والأستراتيجية ، وذلك بطريقة واضحة لا تقبل اللبس ، ويجب أن تكون

التوجيهات العسكرية الصادرة للقادة الكبار نابعة من هـذا المفهوم . ويجب أن ترعى الحكومات منتهى الدقة والحكمة فى إنتقاء هؤلاء القادة حتى يستطيعوا توصيل هـذه التوجيهات بعد ذلك إلى باقى القادة المرؤوسين ، مع مدهم بأقصى ما يمكن من العون والتأييد .

ويجب أن يراعى فى التوجيهات التى تصدر أن تكون مشددة ... واضحة . وقد ظهر فى معظم الحروب أن إمكانيات الدول المشتركة فى القتال تكون متساوية تقريباً ، وفى هذه الحالة فالنصر يحالف الجانب **الأفضل تدريبا . . وقيادة . . . والأهم من ذلك . . . الروح المعنوية العالية . .** وقد حدث فى كثير من الحروب بالرغم من مهارة القائد أن يصبح النصر مشكوكا فيه لأصطدامه بعدو مستميت ، فى هذه الحالة تنتقل مصادر القوة من القائد إلى جنوده ، ويصبح النصر عندئذ مرهوناً **بشجاعتهم ومستوى تدريبهم وضبطهم وربطهم ورفضهم لقبول الهزيمة ومقدرتهم على الثبات والتماسك خلال المعركة .**
وخلال مسيرتى الطويلة من العلمين إلى برلين أبان حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ كنت دائماً أضع أمام عينى الجملة المأثورة عن شكسبير والتى وردت فى قصته « هنرى الخامس » والتى يقول فيها :

يا اله الحروب . . . انزع القلوب من صدور جنودى . .

ومع بداية دراستنا للحرب ، فآمل أن يصل القارىء للأعماق الحقيقية لما أكتب فمعظم ماسندرسه من الحروب حدثت فى الماضى وقد تحقق النصر فيها ، ولكن كان وراء هذا النصر الجنود والبحارة[1] . والقادة عندما يخططون للمعركة يواجهون دائماً بالضباب الكثيف ، ولكن براعتهم وحكمتهم فى التخطيط يبدد هذا الضباب الكثيف أمام الجنود وفى أعتقادى أن القادة المهرة لا يولدون قادة ولكن يصنعون ، فلا يمكن للضابط أن يصل إلى مناصب القيادة العليا بدون دراسة طويلة ، فالقيادة فى الحرب ما هى إلا دراسة دائمة ، وإذا أهملها القائد فلن ينجح .

---

(١) لم يذكر مونتجمرى القوات الجوية لأنها لم تـن كموجودة فى العصور القديمة ، (المعرب)

وقد قلت ذات مرة لأحد ضباطى ، وكان طموحاً ولكنه إلى حد ما كسولا : —
«تذكر أن الذين يحققون النصر بدون دراســـة نادرون جداً وليس ذلك فى الحرب فقط ، ولكن أيضاً فى أى مهنة أخرى » .

وطبعاً فالموهبة الطبيعية ضرورية وتظهر فى المقدرة على وضع قرار سريع حكيم وسديد مع الصلابة والجرأة وفى الوقت المناسب .

الرفاهية وتأثيرها على الدول

سوف نرى كيف تؤدى الخبرة والتدريب المتواصل للقوات على أختلاف أسلحتهم إلى تحقيق أعظم الأنتصارات خلال أقسى الظروف وفى مواجهة أضخم الجيوش . وستظهر مزايا القائد الجيد سواء فى أوقات الشدة أو المحن أو عند الأنتصار .

وأخيراً ... ستظهر لنا الدراسة أن أهم عوامل النجاح فى الحرب هى المقدرة والقيادة الجيدة وقوة العزيمة ، وإذا توافرة هذه الصفات فى القائد فمكانه الطبيعى فى مصاف أشهر وأعظم القادة . وعلى كل عندما تنطلق الأقوال وتتحول إلى أعمال ... فالحرب ستصبح البوتقة التى ستظهر من أى معدن صنع هذا القائد .

وسوف أنهى هذه المجموعة البسيطة من الأفكار عن موضوع القيادة بملحوظة ، وستتضح من خلال قراءة الفصول القادمة لهذا الكتاب ، وهى أن المارشال الراحل ويفل أخبرنى ذات مرة أنه عندما كان الأسبرطيون فى أوج مجدهم العسكرى ، أرسلوا وفداً إلى كاهن مدنيه دلفى (١) ووجهوا إليه السؤال التالى بطريقة تنم عن الغطرسة : —

— هل تعتقد أن هناك ما يمكن أن يلحق الأذى بإسبرطه ؟

وجاءت الاجابة بسرعة . — نعم ... الرفاهية .

وقد قمت بنفسى بزيارة دلفى ، وقضيت ساعات أمام هـذا الخراب والدمار وكان المنظر موحشاً وكانت أجابة الكاهن صحيحة .

فدراسة تاريخ الحروب سوف تبين لنا أننا لسنا أمام قصة تنتهى نهاية سعيدة ، بل

(١) دلفى مدينة يونانية . (المعرب)

أمام قتال يجرى من عصر إلى عصر ، وكل تقدم للقوات يجب أن يحوز نصراً ، وكل موقع يستولى عليه يجب الاحتفاظ به.وسيظهر لنا أنه يمكن رؤية العدو بوضوح فى الحرب أما فى السلم ، فالدولة تواجه عدوا خفيا ، عدوا آت من داخلها ...

وهو الضعف داخل الدولة ، والتى يجعلها تتهاوى وحدها، ومثال لذلك فرنسا .

فهى بلد عظيم ولكن فى الفترة الأخيرة التى سبقت حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ كان الضعف الداخلى قد هاجم قلب وروح فرنسا ، حتى كانت الطامة الكبرى عام ١٩٤٠ ، ولكنها أستعادت روحها مرة أخرى على يد الجنرال الراحل ديجول ، وعادات إليها الحياة أكثر مما كانت عليه جمالا وشبابا تحت قيادة هذا القائد العظيم .

لقد تعرفت أثناء قيادتى فى الحرب العالمية الثانية وخلال خدمتى لعشر سنوات فى هيئة الدفاع الغربى على عـــدد كبير من جنود دول كثيرة ولكن كان من الطبيعى أن أتعرف بدرجة كبيرة على أبناء بلدى فقد وضح لى أنهم كانوا شعبا يتميز بالصمود والإستقلال. ولسنين طويلة لم نعرف معنى للهزيمة النهائية فالحرية تجرى فى دمائنا ... تمدنا بالصمود والقوة الراسخة ... لقد أثرت الثورة الصناعية علينا وعلى روحنا إلا أن كفاحنا المستميت من أجل البقاء كان يزداد صلابة رغماً عن الآلام الجسمانية التى تعصف بأجساد شعبنا فى أحياء بريطانيا الفقيرة ، وعلى كل لم يتمكن الضيق الأقتصادى من قتل الروح البريطانية نهائياً، لأن تلك الظروف هى التى أنجبت رجالا لم يعرفوا المستحيل وكل شىء أمامهم كان ممكنا ، وعندما يقاتلون فلن يعرفوا الهزيمة طالما أمامهم قيادة سديدة وبأيديهم سلاح مناسب وقادة يبثون فيهم الثقة،ولكن مرة أخرى أقول أن الخطر الآتى من الداخل قائم ويجب التأهب لصده بأستمرار ، وهنا أتوقف قليلا لأقول أن كاهن دلفى كان على حق ...

فاذا تسلطت الرفاهية على رجولة أى دولة واهملت الصفات العسكرية ، كان ذلك نذيرا بأنتهاء هذه الدولة .

والروح المعنوية من أهم العوامل التى ترفع درجة الجهـــد الحربى وقد كتب فرانسيس بيكون : —

— إن المدن ذات الأسوار العالية والمكتظة بالأسلحة وبها أجود سلالات الخيل ، وأقوى عربات القتال والأفيال ... كل ذلك ما هو إلا خراف ترتدى أقنعة الأسود إذا لم يتوفر الرجال لكل هذا ، ولديهم روح الجرأة والإستعداد لخوض الحرب ...

ودراسة تاريخ الحروب سوف يثبت صحة هذا الكلام ، ويرجع مسئولية توفير هذه الروح على عاتق القادة السياسيين ، وللقادة العسكريين دور هام أيضاً فى هذا المجال .

وأرتفاع الروح المعنوية مرتبط باللياقة الجسمانية ، فالجندى لايمكن أن يكون لائقا للحرب من الناحية العقلية إذا لم يكن صالحاً من الناحية الجسمانية .

وقد كتب كبلنج فى مقدمة كتابه « قصص من البر والبحر »: —

— امم كثيرة مضت بعيدا دون ان تترك اثرا . . .

— ثم جاء التاريخ وكشف عن حقيقتها . . .

— والسبب فى كل مرة .. ولكل دولة ...

— سبب واحد .... وبسيط . . .

— ذهبت هذه الدول لانه لم يكن بها رجال لا تقون. . .

الفصل الثالث

الحرب فى العصر البدائى

حرب النمل

لقد تدخلت الحروب فى حياة الأنسان منذ المجتمعات القديمة فلو عدنا إلى الوراء ٧٠٠٠ سنة قبل الميلادوأتخذنا مدينة جيريكو[1] مثالا لذلك لوجدناأن هذه المدينة كانت محاطة بأسوار أرتفاعها ٢١ قدما ، بينما نحت فى الصخر خارج هذه الأسوار خندق عرضه ١٥ قدما وعمقه ٩ أقدام لميلأ بالماء .

وكان يسكن هذه المدينة حوالى ٢٥٠٠ نسمة من بينهم ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مقاتل مسلحين بالأقواس والسهام ذات الرؤوس الحادة المصنوعة من حجر الصوان . وكان هؤلاء القوم مهرة وخبراء فى فن التحصين والهندسة علاوة على تطويرهم لمعدات القتال مثل القوس والسهم .

وفى عام ١٩٣١ قضيت ساعات طويلة بين أنقاض هذه المدينة القديمة فى وادى البحر الميت أستطلع ما بها من حفائر وأسوار ، وأول أنطباع قفز إلى ذهنى عند رؤية هذه التحصينات الحربية أن هؤلاء القوم كانوا يخشون عدوا قويا ومخيفا .

وأنه ما من شك ... أن فن الحرب ظهر قبل هذه المدينة بزمن بعيد ... إذن **كيف كانت النشأة الأولى للحرب ....؟؟**

يجب أن نعلم أولا أن الحرب من العناصر الرئيسية للتاريخ نظراً لإرتباطها بضروريات الحياة ، كالطعام والمكان الآمن للمعيشة ، لذلك كانت من الضروريات الرئيسية للإنسان البدائى ، كما هو الحال تماما بالنسبة لنا الآن ، ولكن وجد الأنسان أن هذه الضروريات

---

(١) جيريكو : هى مدينة أريحا .   (المعرب)

محتاجة إلى مكملات مثل الرفاق والثروة والقوة والنفوذ ، وقد تكون متوفرة أحيانا ولكن ليست بالقدر الكافى ، مما أدى إلى أن الأفراد بل الدول أخذت تتطاحن ، وفى الحقيقة هذا التطاحن يرجع لأسباب إقتصادية ، وقد ظهر ذلك جليا فى الماضى عندما كانوا يتنافسون من أجل ضمان أدنى مستوى للمعيشة ، تماما كما تتصارع الحيوانات والحشرات من أجل هذا السبب نفسه . وهذا يذكرنى بحرب النمل لأنه فى الواقع تعتبر من الحروب المعقدة جداً فتتضمن التجسس والكمائن والهجمات المفاجأة والحصار ، ويتم ذلك تحت قيادات منظمة ومقسمة ولها رئاسة عليا تعمل على أسس من الأستراتيجية بعيدة المدى .

وأول من لفت نظرى إلى حرب النمل ، السير ونستون تشرشل ،ففى أحدى زيارته لى فى مركز قيادتى فى ألمانيا خلال خريف ١٩٤٤ أهدانى كتاب « حياة النمل » لماترلينيك ، معتقدا أن هذا الكتاب سيزودنى بأفكار جديدة فى عملياتى المنتظرة ضد الألمان ، لأن النمل لديه جيوش منظمة ودائما تقوم بالأعمال الهجومية الناجحة .

عالم الأنسان والحيوان

وتعتبر الحرب من الأمور الأكثر طبيعية فى حياة الأنسان وأعتقد أن الأنسان لو لم يجد نفسه مجبراً عليها للجأ إليها مختاراً ، وقد ظهر فى سجلات التاريخ أن التعاون بين الأفراد كان يسير بنفس الدرجة التى يسير بها القتال ، فنجد أن المجتمع الذى يسوده جو التنافس يصبح كل فرد فيه خطراً على زميله ، ومن هنا يظهر العدوان والحقد والخوف ، ويصبح شيئاً طبيعياً فى نفوس الأفراد نتيجة لهذا التنافس المحتدم .

ونجد أيضاً أن المجتمعات الحيوانية كالقرود والطيور يسودها المنافسات وتقوم برسم وتحديد حدودها مع جيرانها،وهذه الحدود موجودة أيضاً داخل مجتمعات الأفراد، ويحترمونها بصفة عامة ويستخدمون القوة عادة لطرد الدخيل الذى يهدد مجتمعهم . وفى عالم الماشية والدواجن يوجد درجات ورتب لكبار السن وتحترم ، ولكن عندما ينشب عراك حول مصلحة ما ، وخاصة فى الطعام ، تنقلب الأمور إلى العكس ويصبح الأصغر سناً هو القائد ، ولكن هناك أنواع من الحيوانات لايحدث بينها أى عراك إلا إذا كان هناك سبب قوى ومتعلق بضرورة حيوية ، وحتى العراك الغريزى فلا يحدث بينها .

وإذا عدنا إلى عالم الأنسان سنجد أن لديه وسائل يستطيع أن يمنع بها نشوب الحروب وتتمثل فى أساليب السياسة والدبلوماسية إلا أن الأنسان كان دائماً أقل حظا من باقى الكائنات فى تجنب العنف ويرجع ذلك إلى التضخم والأزدحام السكانى الذى يصل فى بعض الأحيان إلى نقطة الأنفجار ، علاوة على أنه يعانى من مشكلات أكثر عدداً وأشد تعقيداً مما تعانيها باقى الكائنات .

العصر الحجرى فى القرن العشرين

تشير كل آثار الأنسان القديم إلى أنه كان يحاول بشتى الطرق أن يتحد مع جيرانه ليكون دفاعاً قوياً ضد مايحيط به من ظروف طبيعية قاسية . وعند ما كان ينشب القتال ، فلم يكن لديه سوى العصى والحجارة التى يستخدمها فى أغراضه اليومية العادية فتصبح سلاحه الرئيسى . ومن أسلحة القتال التى كانت تستخدم فى العصر الباليوزوى[1] البلط والسكاكين[2] والعظام التى لها شكل الرمح وقرون الرنة . وعلى العموم ، فمن المستحيل على علماء الآثار معرفة أسباب وطرق وأساليب الحروب لدى الشعوب البدائية فى أوروبا وآسيا ، ولذلك فمن الأفضل لدراسة هذا الموضوع أن ندرس بعض الشعوب فى قارات أخرى ولاتزال تعيش فى العصر الحجرى ، بينما هى تعيش فى قرننا هذا ... القرن العشرين . ومن خلال دراستنا لهذه الشعوب المتخلفة البدائية ، سنستطيع معرفة لماذا يحاربون .. ؟وماهى أتجاهاتهم وميولهم عند التجائهم للعنف .... ؟ وبالطبع سنعرف الأسباب والأساليب التى أتبعها الأنسان الأول فى الحرب ، ولا يمكن القول بأن هناك حكماً عاماً أو قاعدة عامة كانت تتبعها كل الشعوب البدائية ولكن هو أقرب الطرق إلى الصحة ، لأن بواعث الحرب تختلف، وتختلف أيضاً درجة ضراوتها ووحشيتها طبقاً لما هو محيط بها من ظروف ، مثل مرارة الحقد والخوف من عواقب الهزيمة . فبعض القبائل كانت تقتل أسراها فى نفس الوقت توجد قبائل أخرى تعامل أسراها بالحسنى . وعلى كل فالطبيعة والتكوين الجسمانى لهما تأثير كبير ،فنجد

---

(١) العصر الباليوزوى : هو العصر الحجرى القديم .

(٢) البلطة : كانت عبارة عن عصا مثبت بها فى مقدمتها شظية مسننة ومدببة من الحجر . السكين : كانت عبارة عن شظية طويلة مدببة ، وكان الإنسان القديم يقوم بقطع وشحذ وتهذيب كلا النوعين . (المعرب)

أن الأقزام كانوا مسالمين لضعفهم ، فأدى هذا إلى طردهم إلى أصعب المناطق معيشةفى أفريقيا تحت ضغط الهجمات المتوالية من القبائل القوية المعادية . وقد ظهر عبر التاريخ أن سكان أستراليا الأصليين كانوا يكرهون الحرب ، فى حين يوجد فى أجزاء أخرى من العالم قبائل لعهد قريب ، تعتبر الحروب أحدى جوانب الحياة الطبيعية والتقليدية وأنها من الحلول الأكثر قبولا عند نشوب أى نزاع . ومن الأمثلة لذلك قبائل « الماساى » فى شرق أفريقيا وقبائل جوارانيس فى البرازيل وقبائل الآباش فى أمريكا الشمالية وقبائل الدياكس والكينياس فى جزر الأوقيانوس .

بواعث الحرب

ومن أكثر أسباب الحرب شيوعاً بين هذه الشعوب البدائية هو الأزدحام السكانى بينهم والأرتفاع المفاجىء فى تعداد سكان منطقة معينة أو هبوط موارد الغذاء والمياه فيها ، وهذا يتطلب منهم محاولة خفض معدل التعداد ، وكان يتحقق هـذا عن طريق الحروب أو بواسطة ظروف طبيعية (مثل الأمراض والأوبئة) . وتاريخ الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية يرسم لنا صورة صادقة للحرب الناجمة عن الحاجة والتوسع لأمتلاك أرض جديدة .

ومنذ حوالى ١٦٠٠ سنة ، تمكن عدد كبير من الأوروبيين من الأستيلاء على مناطق على الساحل الشرقى للقارة الأمريكية بقوة سلاحهم الحديث ، وطردوا الهنود الحمر إلىالغرب وكان ذلك بداية لحروب أستمرت قرناً من الزمان . فأصبحت حرباً متواصلة بين قبائل الهنود بسبب تراجع القبائل غرباً وبالتالى أنتهاكها للأرض التى تسكنها قبائل هندية أخرى ، فقامت معارك ضارية بين قبائل الشيبوا والسيو فى منطقة ميل لاكس فى القرن السابع عشر ، وفى منطقة كروس ليك فى عام ١٨٠٠ ولم تكن هذه الحروب لمجرد أستعراض العضلات أو لتحقيق المجد ، بل كانت حرباً شعواء من أجل البقاء ، حرباً كان يخوضهـا الرجال بكامل قوتهم وبأستماتة كبيرة ، حرباً من يسكنون الغرب دفاعاً عن بيوتهم وممتلكاتهم ضد هؤلاء الغزاة من الهنود أيضاً والذين طردهم الأوروبيون . وقد تدهور الموقف فى القرن التاسع عشر عندما بدأ الغذاء الرئيسى للهنود فى الأختفاء ... وهو الجاموس ،وبدأ معهالمنافسةعلى الحصول على الخيول والأسلحة النارية ، وزادت الهجمات المسلحة للهنود ، فقبائل السيوالمهزومة تدفع

أمامها قبائل الشايين بعيداً إلى الغرب ، والشايين بدورهم يدفعون أمامهم قبائل الكومانش إلى الوراء نحو المكسيك . ومن الأسباب الرئيسية لنشوب الحرب فى مختلف أنحاء العالم ، رغبة الإنسان للانتماء إلى عشيرة أو مجتمع حتى يتوفر لديه الوطنية والولاء . والأحساس الفعلى بالولاء للمجتمع يتولد معه شعور العداء نحو المجتمعات المجاورة . وتوجد صلة قوية بين ثقافة الشعوب والحرب ، وتظهر هذه الصلة بصفة خاصة فى الشعائر والطقوس الدينية ، وعلى سبيل المثال قبائل الماياى فى جنوب أمريكا من ضمن معتقداتهم الدينية أنهم إذا أرادوا الحياة فعليهم مهاجمة القبائل الأخرى والإستيلاء عليها . ومثال آخر عندما قام الأوروبيون بإيقاف حروب شعب البولينيز ، نتج عن هذا أن البولينيز عانوا من مأساة أجتماعية وثقافية عميقة ، لأن كل قيم هذا الشعب كانت مرتبطة تماما بالحرب ، وعندما توقفت الحرب فقدوا طاقتهم ودينهم وكرامتهم .

بينما كثير من قبائل الهنود يعتبرون الحرب من وسائل التسلية وأحد مظاهر الأثارة ، فيقومون بتنظيمها بينهم وغالباً ما تسفر هذه التسليات عن العديد من الضحايا .

ومن ضمن أسباب الحرب كانت المرأة ، فالأعجاب بجمالها كان أحد بواعث ذهاب الرجال إلى الحرب ، كما كان الحال فى « تاهيتى » فكان لزاماً على الزوج الحصول أولا على وشم فى ذراعيه يبين أنه قتل أحد الأعداء أثناء الحرب . وفى الأنجيل تكرر أكثر من مرة ذكر الغارات التى كان يقوم بها القبائل لخطف النساء ، وأعتقد أن الكثير منا يعلم أسطورة « هيلينى » فاتنة طروادة ، وكذا أسطورة نساء سابين ومثال لذلك فى أواخر القرن الثامن عشر هاجمت سفن القراصنة من البربر أحدى القرى على الساحل الفرنسى لا لشىء إلا لأختطاف الفتيات لبيعهن لحريم فى قصور الملوك والسلاطين العرب ، ونتج عن هذا أن القبائل الضعيفة التى لم تقو على التصدى للمغيرين فكانوا يشوهون وجوه بناتهم ونسائهم حتى لا يبدون جميلات فى أعين القراصنة .

الانفجار السكانى

ومن المنطق أن مسببات الحرب وأساليبها لها تأثير كبير على تشكيل هيكل وحضارة المجتمعات البدائية ، تماما كما يحدث حاليا فى القرن العشرين ، ولكن لا يمكن أن نجزم

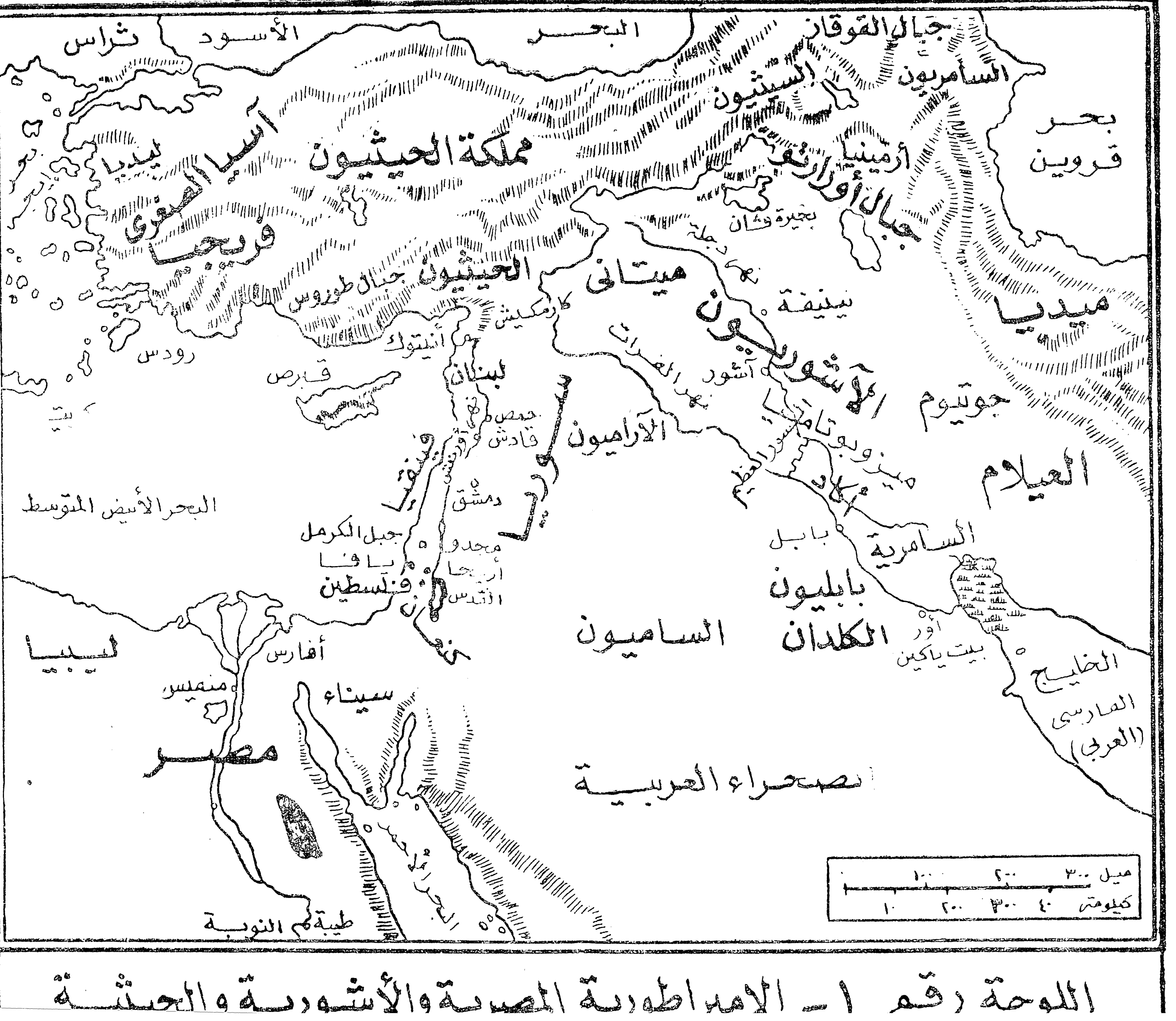
بذلك ، لأن هناك فجوة زمنية كبيرة حوالى ٣٠٠٠ سنة فى التاريخ الأثرى للعالم القديم ، وهذه الفترة تقع ما بين حصون مدينة جيريكو من ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وتاريخ كل من العراق ومصر فى ٤٠٠٠ سنة الأخيرة قبل الميلاد ، لوجدنا أن العامل الوحيد المشترك فى جميع التطورات الحربية والسياسية فى تاريخ الشرق الأدنى هو الازدحام السكانى والأزدياد الهائل فى التعداد .

ومن أولى الحضارات القديمة ، الحضارة البابلية والسومرية التى ظهرت على ضفاف نهر الدجلة والفرات الأدنى وكذا الحضارة المصرية التى ظهرت على ضفاف النيل ونتج عن هذا أنه أصبح لا مناص من الحرب بسبب التنافس على أمتلاك هـذا الشريط الخصب الموجود حول هذه الأنهار ، فقد قام السكان الذين يقيمون فى المساحات الكبيرة والتى يسودها الجفاف والمحيطة بهـذه الوديان بالهجوم عليها وأصبح لزاماً على سكان الوديان الدفاع عن كل بوصة من هذه الأرض الخصبة ، علاوة على ذلك كانوا معرضين أيضاً للهجمات الخارجية من سكان المناطق الصحراوية المجاورة الذين كانوا ينظرون إليهم ولأراضيهم الوفيرة المياه بعين الغيرة والحقد .

اول صراع بين الحضارات فى التاريخ

لم تكن هناك أى موانع أو عوائق طبيعية تحمى كلا من مصر أو بابل ضد الغزاة ، مما أدى أن المصريين تراجعوا إلى الخلف أمام هجمات أعدائهم النوبيين من الجنوب وقبائل الساميين عبر سيناء من الشرق ويعتبر سيرخيت أول ملك لمصر يغزو سيناء فى عام ٣٣٧٠ ق . م وقد سجل وقائع غزواته على صخورها ، فظهر رسم لهذا الملك وهو يضرب بسلاحه ملك قبائل العدو ، ووجد رسم آخر على جدران مقابر ساهور (عام ٢٩٥٠ ق . م) يبين قوة بحرية تعبر البحر الأحمر متجهة إلى سيناء ، ورسم آخر يبين رحلة العودة محملة بالأسرى من القبائل السامية .

وقام ملوك بابل بنفس الشىء ضد العرب الساميين وضد الآشوريين فى المناطق العليا العراق وفيما بعـد تحولت الغارات على مصر وبابل إلى موجات عارمة من المهـاجرين ، وقام الساميون بذلك ثم تبعهم الهنود الأوروبيون للوصول إلى وديان هذه الأنهار . والساميون فى الشرق الأدنى وشمال أفريقيا يرجع أصلهم إلى الجزيرة العربية لأن الجزيرة العربية صحراء



اللوحة رقم ١ — الامبراطورية المصرية والأشورية والحيثية

ومن الطبيعى أن يضطر سكانها للبحث عن مناطق خصبة فاتجهوا إلى الخليج العربى ونهر الفرات والنيل

وعلى كل فهناك ثلاث انفجارات رئيسية للجنس السامى العربى .

وتقول الأساطير أنه فى بداية عام ٤٥٠٠ ق . م كان هناك مملكة سامية فى العراق ، كما أنه هناك شبه أساطير تقول أنه بعد فترة قصيرة من قيام المملكة السامية ، قامت مملكة أخرى سامرية فى جنوب العراق ويعتبر الصراع بين الساميين والسامريين حول العراق أول صراع بين الحضارات فى التاريخ ، وقد قام أهل الجنوب ببناء سور يمتد من نهر الفرات إلى نهر الدجلة ليحميهم من غزوات القبائل الرحل ويعتبر هذا تفكيراً أستراتيجيا يماثل فكرة سور الصين العظيم،ولكن كان بدون جدوى ، وأستمر الصراع بين الشمال والجنوب لمدة ٢٠٠٠ سنة لتحقيق السيادة الكاملة على جميع العراق . وأول مملكة حققت السيطرة على جميع العراق أسسها سارجون فى عام ٢٧٥٠ ق . م وكان من الكهنة الذين ينتمون لنسل إشتار آله المعارك .

أكبر الأمبراطوريات التى عرفها العالم : (أنظر اللوحة رقم ١)

ومع بداية مملكة سارجون بدأت قوة الساميين فى الأزدياد نتيجة لجحافل المهاجرين الآتين من الجزيرة العربية إلى سوريا وشمال العراق فى عام ٣٠٠٠ ق . م . وأختار سارجون مدينة آكاد عاصمة له ربما لأسباب عسكرية ، ففى هذه المنطقة يقترب نهر دجلة من نهر الفرات ولا يفصل بينهما سوى ١٥ ميلا فقط . وقام سارجون فى العام التالى لحكمه بفتح العيلام ثم سيطر على المناطق الممتدة غربا إلى البحر المتوسط حتى جزيرة قبرص . وقد قامت عدة ثورات متفرقة ضد حكم سارجون ولكنه كان يقمعها بأسلوب غاية فى الصرامة والقسوة ، لدرجة أنه قام بتحويل مدينة كازلا إلى أنقاض من الأتربة ، حتى أعشاش الطيور قام بسحقها . كما أنه صد جميع الهجمات الآتية من شمال غرب آسيا الصغرى من مملكة

الحيثيين[١] وأجبرها على الأنسحاب إلى الخلف تحت وطأة الهزيمة . وقد خلفه فى الحكم ملك يختلف عن سارجون الكاهن ، فقد كان نارام سين رجلا عسكريا ويرجع نجاحه فى الحكم إلى أنه قائد جيد ، ولديه جيوش ذات كفاءة عالية ومطيعة . وكان نارام سين قبل موته حاكم أكبر الأمبراطوريات التى عرفها العالم ، فكانت تمتد من أرمينيا شمالا والبحر الأحمر جنوبا ومن العيلام شرقا إلى ساحل البحر الأبيض غربا إلا أن هذه الأمبراطورية تفتت بعد موته تحت ضربات الثورات الدلخلية والغزوات الخارجية التى قام بها البرابرة من جوتيوم وبعد مرور أربعين عاما على وفاته فقدت الأمبراطورية أستقلالها لدرجة أن الغزاة وصلوا إلى العاصمة آكاد نفسها .

العربات المدرعة

لقد شهدت الفترة مابين (٣٥٠٠ — ٢٤٠٠ ق . م) نشاطا حربيا عظيما خلال فترة الصراع بين الساميين والسامريين وفترة الإمبراطورية الأكادية[٢] وفترة المملكة المصرية القديمة . وفى الفترة الأولى ظهر أول تطور حقيقى فى فنون الحرب وأنواع الأسلحة والتحصينات ماعدا الفرسان ، وظلت سائدة ٣٠٠٠ سنة حتى بدأ أكتشاف البارود فى القرن الرابع عشر بعد الميلاد .

وكان العراقيون يتمتعون بتقدم كبير فى المجال العسكرى أكثر من المصريين الذين لم يعرفوا سوى الحروب ذات المستوى المحدود إلى أن حدث غزو الهكسوس فى عام ١٨٠٠ ق . م . على سبيل المثال ، فالمصريون لم يستخدموا العربة الحربية إلا بعد أن إستخدمها العراقيون بـ ١٢ قرنا من الزمان . وكانت العربة الحربية تعتبر من أدوات الحرب الرئيسية لدى العراقيين بعد عام ٣٥٠٠ ق . م ولها نوعان ، النوع الأول مزود بعجلتين ، والنوع الثانى له أربع عجلات ، وكلا النوعين يجره أربعة بغال ، وكان النوع الأول من هذه العربات ثقيلا وغير متقن الصنع وقد عثر على أنواع من هذه العربات وكانت مزودة بلوحة مرتفعة فى مقدمتها لوقاية راكبها ، ويؤكد هذا أنها كانت تستخدم فى العمليات الهجومية المباشرة

---

(١) الحيثيين : تركيا حالياً .

(٢) الأكادية : نسبة إلى مدينة آكاد التى أصبحت عاصمة العراق بعد توحيدها . (المعرب)

وكان الغرض الرئيسى لاستخدام العربات عند العراقيين هو مفاجأة العدو بسرعتها وبث الذعر بين صفوفه . وطاقم العربة يتكون من فردين ، قائد العربة وجندى يحمل حربة ورمحاً ويقوم الطاقم بالهجوم عندما يصبحون على مسافة مناسبة من العدو مستخدمين الرماح ، وعندما تضيق المسافة بينهم وبين العدو يستخدمون الحراب . وقد طرأ على هذه العربات تطور كبير فى الفترة مابين ٢٠٠٠ — ١٥٠٠ ق . م حتى أصبحت من أهم مصادر الهجوم لتحركها السريع وكفاءتها وأدى هذا التطور أنها أصبحت أكثر خفة وأستبدلت البغال بالخيول فى الأجزاء الشمالية للعراق عام ٢٠٠٠ ق . م .

أسلحة القتال

وصحب هذا التطور ، تطور آخر فى قوة النيران[١] وذلك بإدخال القوس المركب ضمن أسلحة القتال الرئيسية عند العراقيين ، بينما كان السلاح الثابت تقريباً لدى الجميع وخاصة المصريين هو المقرعة[٢] ولكن هذه الرؤوس الحديدية فقدت فاعليتها عندما ظهرت الخوذات القوية الواقية للرأس،وبدأت أهمية البلطة ، ففى ٣٠٠٠ سنة الأخيرة ق . م تطورت البلطة ذات النصل النحاسى لتصبح أداة للطعن وأيضاً للقطع ، وكان يستخدمها كل من المشاة من حملة الحراب وأطقم العربات . أما السيف فقد ظهر متأخراً فى العراق وذلك لعدم وجود الإمكانيات لصناعته . وأول أنواع هذه السيوف كان يشبه الخناجر ، فكان قصيراً ، مستقيما ذا حدين ثم بدأ بعد ذلك ظهور السيوف المقوسة التى تشبه المناجل لاستخدامها عند الالتحام ويجب أن نشير إلى أن السيف كان معروفا من قبل عند صانعى الأسلحة فى الأناضول لخبرتهم الطويلة فى الصناعات الحديدية وهذا مكنهم من صناعة السيوف ذات النصل الطويل ، وبعد ذلك بدأت صناعة السيوف فى بداية القرن الرابع عشر ق . م تنتشر بين الدول ، بينما كان العراقيين قبل ذلك يعتبرون الحراب[٣] هى السلاح المثالى وكان يحملها الجنود أثناء السير فى وضع رأسى مائل قليلا على الكتف ، ويتغير هذا الوضع إلى وضع أفقى عند الهجوم .

---

(١) قوة النيران : المقصود هنا بقوة النيران هو نوعية الأسلحة أى التطوير فى أسلحة القتال نفسها .

(٢) المقرعة : عبارة عن قضيب من الحديد ينتهى برأس حديدى على شكل كرة لضرب الأعداء على رؤوسهم .

(٣) الحراب : كانت عبارة عن ساق طويلة من الخشب مزودة بنصل معدنى على شكل ورقة الشجر

أما القوس ، فقد ظهرت له بعض النقوش على الآثار يرجع تاريخها إلى نهاية سنة ٤٠٠٠ ق . م ، وكان محدب الشكل ومزدوجا ، أما فى العراق[1] فكان عبارة عن جذع واحد مقوس ، بينما كانت سهام هذه الأقواس قوية ورؤوسها صلبة مصنوعة من حجر الصوان .

ومن الغريب أن راكبي العربات الحربية لم يستعملوا القوس إلا بعد عام ٢٠٠٠ ق . م وظهر القوس المزدوج لأول مرة مرسوماً على لوحة النصر التذكارية عام ٢٨٠٠ ق . م وأعتبر منذ هذا التاريخ السلاح الرئيسى للحرب وكان من الأسباب الرئيسية لقيام الأمبراطورية الأكادية امتلاكهم لهذا السلاح . وأبتدأ الإهتمام به والعناية بصنعه وأصبح يصنع من أكثر من مادة بعدأن ثبت أن المادة الواحدة لا تكسبه المرونة والصلابة . فأدى هذا أن القوس الحديث المركب[2] أصبح يصنع من أربع مواد فاكتسب صلابة مع مدى أبعد . وقد فوجىء العدو بالقوس المركب عندما تم الهجوم عليه من مسافة بعيدة خارجة عن حدود سمعه وبصره فلم يستطع القيام بالهجوم المضاد . وقد وصل القوس المركب إلى أعلى درجات الكفاءة عندما صنعه المصريون على شكل محدب ومزدوج وأصبح من أسلحتهم الرئيسية . ونتج عن هذا التطور الكبير فى القوس ، تطوراً آخر مضاد فى الدروع ، فأصبحت أكبر حجماً وأصلب صنعاً .

وكان السامريون أول من طوروا الدروع فأصبحت رداء مصفحاً مصنوعاً من قطع صغيرة ومستديرة من المعدن لوقايه المقاتل من السهام المنطلقة من الأقواس .

أسلوب القتال

أما أسلوب القتال المتبع فى العصر القديم ، فالرسومات لهذا قليلة جداً ، ولكن من الواضح أن المشاة وراكبوا العربات كانا يكملان بعضهما أثناء القتال ، وغالبا ما يبدأ بهجوم بالعربات الحربية لبعثرة قوات العدو وإرباك خطوطه بالمرور خلالها بسرعة ، وأثنائها يقوم

---

(١) العراق : كان يطلق عليها فى ذلك الوقت بلاد مابين النهرين أو أرض الجزيرة

(٢) القوس المركب : مصنوع من الخشب والعظام الحيوانية والأوتار والغراء ، فاصبح خفيفا فى نفس الوقت زادت درجة قوة شده وأصبح مداه من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ ياردة « المعرب » .

الرماة بالرمى من العربات ، وتندفع سرايا المشاة لتطويق جناحى أو قلب قوات العدو تحت حماية دروعهم المستطيلة الشكل إلى أن يتم لهم القضاء على العدو بما لديهم من البلط والحراب .

وكانت سرايا المشاة تتقدم نحو العدو بطريقة منظمة . فكل سرية تتحرك على شكل طابور مكون من ستة صفوف وكل صف مكون من عشرة جنود وصف ضابط واحد . وقد أضاف الأكاديون على التشكيل السابق للقتال جماعة من رماة السهام ، بينما كانت سرايا الرماة بعيدة المدى تكمل عمل راكبي العربات الحربية ، وفي نفس الوقت تعمل مع المشاة المسلحين بالحراب والسيوف .

وبعد ذلك بنحو ألف سنة أستخدم المصريون نفس الأسلوب والتنظيم السابق أثناء حربهم مع الحيثيين . أما بالنسبة لأسلوب الحصار ، فلم يكن له وجود حتى عهد الأشوريين ، ولكن فى العصر الألفى الثالث تم بناء الأسوار والحصون حول المدن ، ومن وراء هذه الحصون كان حاملو الأقواس يقومون بالدفاع عنها وهم متمركزون فى أبراج على شكل مربع أو نصف دائرة . وكانت الحصون تبنى من خليط من الطوب والحجارة ، وكانت الجدران سميكة إلا أن العدو كان يتمكن من تصديعها وأختراقها وذلك لأن الأهتمام كان منصباً على أن تكون هذه الحوائط عالية حتى تمنع سلالم العدو من الوصول إلى نهايتها وتشير آثار الحصار على مدينة دشاشة المصرية إلى الطريقة التى كان يتم بها مهاجمة مدينة محصنة فى هذا العصر القديم . فكان المغيرون يتسلقون الأسوار بالسلالم المزودة بالعجلات تحت حماية وابل من سهام فرق الرماة الموجودين خلفهم ، بينما يقوم الكبش[1] بدك سور الحصن حتى يمكن النفاذ للداخل ويتم أختيار أضعف نقطة فى سور الحصن وتكون غالباً البوابة . والآن وقد عرفنا شيئاً من أنواع الأسلحة وأساليب القتال فى الفترة ما بين ٤٠٠٠ — ٢٠٠٠ سنة ق . م لنستعرض بشىء من الأختصار التاريخ السياسى للحرب فى العهد القديم للشرق الأدنى .

التاريخ السياسى للحرب

لقد بدأت الموجة الثانية العظمى لهجرة الساميين حوالى عام ٢٥٠٠ ق . م من الجزيرة العربية حتى وصلت إلى أرض كنعان على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وقد أدت الهجرة

(١) آلة حربية يستخدمها القدماء فى دك أسوار المدن المحصنة وأختراقها . « المعرب »

العظمى الأولى للساميين بدفع شعب كنعان إلى أرض العراق حيث قاموا بتقديم آلهتهم للعراقيين حتى أستمالوهم وهذه الآلهة هى ريمون والإله داجان . وبذلك أصبح الكنعانيون أول من رفع شأن مدينة بابل وعادوا تأسيس مدينة أور ، كما وحدوا جميع مناطق جنوب العراق التي سميت فيما بعد بالمملكة الكلدانية .

أما فى مصر فى حوالى عام ٢٣٧٥ ق . م بدأ عهد المملكة الوسطى وقام حكام طيبة فى الجنوب بغزو دلتا نهر النيل . وفى هذه الفترة تحتم على ملوك مصر أن يخوضوا معارك عنيفة ضد كل من القلاقل الداخلية والأعداء المغيرين على الحدود وفى نفس الوقت قاموا بفتح النوبة وإخضاعها لحكمهم الصارم .

وقد نقشت عبارة على جدران قلعة أحد الفراعنة فى مدينة سيمنة تقول : — « تلك هى قلعتى الرابضة هنا ولن أسمح لأى زنجى أن يمر منها إلى الشمال ، فأنا ملك وأفعل ما أقول »

إلا أن مصر دخلت فى مرحلة جديدة لعصر طويل من السلام ووصلت فيه مدنيتها إلى أقصى أزدهار وذلك فى حكم أمينحيت الثالث العظيم (٢٠٦١ — ٢٠١٣ ق . م) .

وأدى هذا السلام إلى ضعف قابلية المصريين للقتال عامة ، ولم يفكروا فى صناعة العربات الحربية بالرغم من توفر أعداد كبيرة من البغال والعربات المدنية ، وأدى هذا إلى تأخر تكنولوجية الحرب عندهم لمئات السنين عن باقى شعوب الشرق الأدنى . وأستمر الحال هكذا حتى عام ١٨٠٠ ق . م عندما غزا الهكسوس المناطق الشمالية لمصر وأستعبدوا شعبها .

والهكسوس يعتبروا فرع من نسل الموجة الثانية للهجرة السامية ، وجاءوا من الجنوب الغربى لسوريا للاستيلاء على وادى النيل العظيم . ولم يستطع المصريون مقاومة خيول وعربات الهكسوس الحربية وسيوفهم البرنزية . وبعد فترة وحشية تخللها الدماء أصبح سيمكن الهكسوسى ملكا على مصر . وكانت مدينة طيبة هى آخر المدن المصرية التى سقطت فى يد الهكسوس ومنها أيضاً بدأت حرب التحرير عام ١٦٣٠ ق . م .

احمس والهكسوس

وأخيراً ... قاد أحمس الحرب ضد الهكسوس متجها نحو دلتا النيل وأستولى على

---

(١) كان أحمس ملك طيبة . « المعرب »

مدينة أفاريس. وفى عام ١٥٨٠ ق. م إستطاع هزيمة الهكسوس تماما وفروا أمامه من فلسطين إلى وادى نهر إورنتس[1]. وأصبح أحمس مؤسس المملكة الجديدة المصرية فى عام ١٥٨٠ ق. م وهكذا نجد أن أحتلال الهكسوس لمصر لم يستمر أكثر من ٢٥٠ عاما . وقد أثرت هذه الفترة تأثيراً عميقا على مصر وأصبحت بعد طرد الهكسوس دولة عسكرية قوية وهنا يبرز لنا سؤال : — كيف كانت طبيعة القوات المصرية خلال حرب التحرير فى نهاية المملكة الوسطى . ؟ كان المحاربون المصريون يستخدمون البلط والحراب فى القتال ، بينما كان سلاحهم الرئيسى هو القوس ، وبالرغم من ذلك فكان تطوره بطيئا .

أما النوبيون فلم يكن لديهم دروع ، ولم يكن لديهم حافز لعمل سلاح طاعن طويل المدى[2] قبل مجىء الهكسوس . وفى الحقيقة أدخل الهكسوس إلى مصر العربة الحربية والقوس المركب والخيل . أما وسائل الدفاع فلم يكن فى مصر شكل ثابت محدد لدروع الجنود ، وكان المهاجمون يحملون دروعا صغيرة وخفيفة لتمكنهم من حرية الحركه السريعة .

ومنذ ذلك الوقت ، أصبح من الأمور العادية بين القبائل أن يقوموا بتسوية نزاعاتهم التقليدية التى كانت تنحصر غالبا فى مصادر المياه والماشية وذلك عن طريق المعارك الفردية المحدودة[3] .

تنظيم القوات المسلحة المصرية

لقد أقام المصريون نظاما عسكريا معقداً فكان للملك جهازه الخاص من الحراس المحترفين وكانوا غالبا من الليبيين أو السودانيين بينما كان على كل حاكم إقليم أن يجمع عدد من الرجال ليمد بهم الملك حتى يستطيع تكوين جيش قوى .

وظل الذكور من المصريين خاضعين لهذا النظام[4] التعسفى حتى غزو الهكسوس .

وفى المملكة الوسطى كان الجيش ينقسم إلى وحدات وكل وحدة تضم ٣٠٠ مقاتل ، وواجب هذه الوحدات والسرايا العمليات الهجومية ، أما وحدات الحرس فتتكون من عشرة أفراد فقط . وتتكون الوحدة من ٣ سرايا ، وكل سرية من ١٠٠ مقاتل

---

(١) نهر العاصى : ينبع هذا النهر من شمال مدينة حمص ويصب فى البحر بالقرب من انيقوك (أنطاكية).

(٢) القوس والسهم

(٣) نظام المبارزة الفردية

(٤) لم يعد التجنيد الأجبارى إلى مصر إلا فى عهد محمد على (أوائل القرن التاسع عشر ب. م). « المعرب »

بينما كان يسيطر على الجيش **اجهزة اتصال ومخابرات وادارة ذات كفاءة عالية .** وأستخدم المصريون شفرة خاصة ترسل بالإشارات الضوئية ، علاوة على وجود عدائين يحملون الرسائل والأوامر إلى ميادين القتال ، وكانت تستخدم الأعلام والنفير لأستدعاء الجنود وتنبيههم. وظهر الحاجة الشديدة للمعلومات لمعاونة القوات عند قيامها بحملات كبيرة وخاصة فى المناطق الصعبة وغير المعروفة ، لذلك كان المصريون يرسلون وحدات خاصه للاستكشاف والتجسس وأسر بعض أفراد العدو لأستجوابهم ، **بينما ترسل التقارير عن الموقف والعدو بسرعة وبأنتظام من الضباط فى الخطوط الامامية الى مراكز قيادتهم او القائد الأعلى ، كمصدر من مصادر المعلومات وكانت غاية فى الدقة** ، وهى تشبه إلى حد كبير التقارير التى نستخدمها فى الجيوش المتحضرة فى الوقت الحالى . وتشير الايصالات التى أكتشفت عن القدماء المصريين والخاصة باستلام قوائم طويلة من المعدات والإمدادات إلى مدى دقة ونظام الجهاز الأدارى عندهم .

وكانت الجيوش المصرية القديمه تضم وحدات من الخدمات الطبية ومن المهندسين المسئولين عن عمليات حصار الحصون علاوة على وجود سرايا للنقل مكونة من السفن والعربات لنقل المعدات والجنود والمهمات لمسافات بعيدة .

معركة مجدو

بعد أن أنتهى أحمس من طرد الهكسوس ، أصبح سيد مصر وأخذ يهتم بالشئون الداخلية للبلاد ، فوجد أن النبلاء لم يساعدوه بل ولم يؤيدوه أثناء حرب التحرير ، فقام على الفور بمصادرة ممتلكاتهم وأصبحت مصر كلها تحت سيطرته وملكا لفرعون . وقد شعر المصريون بطعم النصر فى الحرب ، مما أدى إلى فتح شهيتهم فقاموا بفتوحات أخرى فى عهد المملكة الحديثة ، فقام أمينحوتيب الأول ١٥٥٤ — ١٥٣٠ ق . م بتوحيد النوبة وليبيا والسيطرة عليهما ، وبعدها بعام قام بغزو أسيا مخترقا سوريا حتى نهر الفرات ، وتولى الحكم من بعده أبنه تحتمس الأول الذى حافظ على مجد أبيه وغزا شعب ميتانى [١] وبعد ذلك أهتم تحتمس الأول بإعادة تكوين الحضارة المصرية وتجديد جميع المعابد .

---

(١) تقع فى أقصى شمال العراق . «المعرب»

وخلال هذه الفترة السليمة ، تراخت السيطرة المصرية على كل من ميتانى وسوريا وشمال فلسطين لدرجة خطيرة . وأدى هذا أن قام ملك قادش بثورة ضد تحتمس الثالث . وكان يعلم ملك مصر أن الأمبراطورية المصرية لن تؤمن إلا بالسيطرة الكاملة على مدينة قادش لأنها تقع بالقرب من بحيرة حمص فى سوريا وتتحكم فى الوادى الأعلى لنهر العاصى ، وتسيطر على المرتفعات اللبنانية التى تتحكم بدورها فى الطرق إلى نهر الفرات وآشور ولذلك كانت هذه المدينة هى المفتاح الرئيسى للتجارة مع آسيا .. لذلك قرر تحتمس الثالث فرض سيطرته عليها فقاد جيشاً مكوناً من ٣٠٫٠٠٠ مقاتل من دلتا النيل فى ١٩ أبريل ١٤٦٨ ق . م حتى وصل إلى المنحدرات الجنوبية لجبل الكرمل فى ١٠ مايو أى بمعدل ١٦ ميلا يوميا . بينما كانت القوات الآسيوية بقيادة ملك قادش تحتل قلعة مجدو التى تقع على المنحدر الشمالى لجبل الكرمل وقد أحسن القائد إختياره لأرض المعركة ، لأنها أنسب الأماكن لمواجهة القوات الآتية من مصر شمالا . فكانت قلعة مجدو يمتد أمامها سهل كبير علاوة على تحكمها فى الطريق الرئيسى للتجارة إلى الأناضول وسوريا والفرات وهذه القلعة لها أهمية كبيرة فى تاريخ الشرق الأدنى فكانت ميدانا لعديد من المعارك الهامة .

وقام المصريون بالهجوم وحققوا نصرا سهلا ، ولكن ظهر خطأ تحتمس عندما ترك قواته تضيع الوقت فى النهب والسلب بدلا من مطاردة العدو . وعموما فقد وصل تحتمس حتى مشارف مدينة قادش .



نابليون

وقد تقدم تحتمس الثالث عبر مدينة مجدو وفعل مثله فى العصر الحديث كل من نابليون واللنبى ، وفى عام ١٩٣١ أثناء وجودى فى فلسطين قمت بتفقد ميدان معركة مجدو .

وقد سيطر تحتمس سيطرة تامة على الساحل الفينيقى [٢] الغنى بعد مهاجمته برا وبحرا إلى أنه عاد مرة ثانية يهاجم عدوه القديم قادش . وكانت قادش تعد بمثابة القلعة الحصينة لسوريا لوقوعها بين نهر العاصى وروافده

---

(١) قادش : — جنوب مدينة حمص الآن

(٢) فينقيا تمثل ساحل كل من فلسطين وسوريا الآن . « المعرب »

وهى موانع طبيعية وقد أستكملت هذه الموانع بشق قناة أخرى بين النهر وروافده ، وكان هذا الحصن طويلا ومنيعاً ولكن تحتمس تمكن أخيراً من أحتلاله . وهكذا أنتهت آخر عهود الهكسوس وأستطاع تحتمس من أحتلال ميتانى مرة أخرى ، وبعدها أخذت الهدايا والهبات تصل إليه من العديد من مدن ما بين النهرين [١] وعندما مات عام ١٤٤٧ ق . م كانت الأمبراطورية المصرية قد وصلت إلى قمة الانتشار والثراء .

الهجرة الارامية

أما الهجرة السامية الثالثة ، فقد بدأت من الجزيرة العربية فى حوالى عام ١٣٥٠ ق . م وكانت تعرف بالهجرة الآرامية [٢] وأستطاعت القبائل السامية من تأسيس دولة كبيرة لهم كانت عاصمتها دمشق وسيطروا على الطرق التجارة فى المناطق الصحراوية الغربية لمدة ٣٠٠ سنة ، وهؤلاء هم السوريون .

وبعد موت تحتمس الثالث بدأت تضعف القوة العسكرية للأمبراطورية المصرية فبدأ الآراميون والحيثيون بالهجوم على حدودها بينما قامت ثورات دينية داخلية وبالرغم من ذلك أستعاد الجيش المصرى قوته مرة أخرى بعد عام ١٣٥٠ ق . م ... ففى عام ١٢٩٢ ق . م . أصبح رمسيس الثانى الشاب ذا الطاقة والموهبة العظيمة فرعون مصر وقد عقد العزم على أحياء وإعادة الأمبراطورية المصرية السابقة فقد تسببت فترة السلم فى مصر أن أستطاع الحيثيين تقوية أنفسهم فى سوريا ، مع جعل قادش حصناً منيعاً لحدودهم الجنوبية وعلى هذه النقطة (قادش) قرر رمسيس الهجوم .

الجيش المصرى فى عصر المملكة الجديدة

ولكن قبل دراسة معركة قادش ، يجب أن نتعرف على تنظيم الجيش المصرى وأسلحته فى عهد المملكة الحديثة منذ عهد أمينحوتب الأول إلى عهد رمسيس الثانى من واقع الأدلة والوثائق والآثار التى خلفتها هذه المملكة فنجد أن أستخدام الفأس (البلطة) ظل قائماً حتى عام ١٥٠٠ ق . م وبعدها قل أستخدامها وأصبح السيف [٣] أكثر شيوعاً وحل محل المقرعة التى كانت رمزاً لقوة الفراعنة . وأصبح سيف رمسيس الثانى طويلا ... عريضاً ... إلا أن

---

(١) هى العراق أو أرض الجزيرة .

(٢) نسبة للمنطقة الواقعة بين لبنان والفرات .

(٣) لقد دخل السيف من آسيا إلى مصر فى ذلك الوقت . «المعرب»

السيف القصير الذى يشبه الخنجر ظل يستخدم ، وكانت هذه أكثر الأسلحة فاعليـة فى القتال المتلاحم. بينما كان السلاح الرئيسى للمشاة هو الرمح إلا أنه تطوروأصبح رأسه على شكل ورقة الشجر ومجوفة وكان يستخدم قبل ذلك فى العراق .

وكانت أسلحة القوات المصرية تتكون من الرماح والفئوس والسيوف وأستخدمت الرماح أيضاً فى الدفاع عن أسوار الحصون ، ولكنها لم تستخدم بواسطة راكبى العربات الحربية ، كما كانت تفعل الجيوش الأسيوية . أما راكبو العربات الحربية من المصريين فكانوا يستخدمون النبال وهذا الأختلاف راجع إلى أختلاف التكتيك ، فمثلا العربة الأسيوية كانت تندفع خلال قوات العدو فراداً وطاقمها مكون من السائق وإثنين من حملة الرماح وإذا أشتدت وطأة القتال وأصبح من الصعب على العربة القيام بأى مناورة ، فالسائق يترك قيادة العربة ويساعد حملة الرماح فى القتـــال . أما العربات المصرية فكانت تعمل فى مجموعات أو وحدات ولا تندفع خلال قوات العدو ، بل تدفعهم أمامـها ولا تعمل عربة بمفردها فيسهل على العدو حاصرها . والعربات المصرية كانت تمثل النسبة العظمى للقوات ، وكانت مقسمة إلى وحدات كل وحدة مكونة من خمسين عربة ويقودها ضابط ، ولم تكن الفرسان قد ظهرت بعد . ولكن حيث أن الأسلحة تطورت فى القوة والفاعلية ، فصحب هذا تطوراً فى الدروع لتوفر أقصى قدر من الحماية ... وأصبحت نتيجة المعركة تتوقف على **قدرة القوات على المناورة وخفة الحركة** ولذلك أصبحت العربات ذات أهمية كبيرة .

ومع بداية المملكة الحديثة ، كانت العربة عبارة عن مركبة خفيفة ذات أطار خشبى يجرها زوج من الخيول ، وكانت مصممة على أن تكون عربة قوية وسريعة وذات قدرة كبيرة على المناورة ، ومن عهد تحتمس الرابع قام المصريون بتطوير العربات المستعمـــلة إلى عربات ثقيلة . وكانت هناك ورش لصيانة هذه العربات وتتواجد على طول خطوط الحملات الحربية ومعها رماح ومناشير لإصلاح مركبات النقل . وعلى كل فكان القوس هو السلاح الحاسم لكل الجيوش الكبرى فى هذا العصر ، وكانت تستخدمه كل من المشاة وأطقم العربات الحربية وأستخدم بعد ذلك القوس المركب[١] وكانت السهام[٢] تستطيـع

(١) كان يشبه المثلث فى شكله أو ذو شكل مزدوج التقوس وكان يحفظ فى داخل جراب خاص لحفظه من الألتواء أو الأعوجاج .

(٢) عبارة عن قصبات رفيعة من البوص ذات رأس مدببة من البرونز . «المعرب»

أختراق دروع هذا العصر من على مسافة قصيرة . ويحمل جندى المشاة جرابا به ثلاثون سهماً ومدلى من حزام جلدى مثبت على كتفه . وكان التدريب على الرماية بالسهام تسلية شائقة فى ذلك الوقت ، وأماكن التدريب متوفرة علاوة على وجود مدربين مهرة ، أما تدريب الجنود فيتم على أساس الرمى من العربة الحربية وهى فى أقصى سرعتها .

وفى المملكة الوسطى (٢٣٧٥ — ١٥٨٠ ق .) لم يرتد الجنود المصريون أى واق للجسم ، بل كانوا يحملون دروعاً كبيرة .

أما فى المملكة الحديثة (١٥٨٠ق)فقد كان رماةالسهام وأطقمالعرباتيلبسون دروعا[1] واقية أويحملون دروعاً صغيرة ، وفى بعض الأحيان لايحملون دروعا على الإطلاق لأن طبيعة عملهم تقتضىأن تكونأيديهم حرة الحركة .

وأدى تطور أسلحة الأختراق (مثل السهام والحراب) إلى تطور صناعة الدروع[1] فأصبحت أصلب وأقوى ، ولكن كانت تكاليف صنعها باهظة ، مما أدى إلى قصر أستعمالها على من تقتضى طبيعة عملهم أن تكون أيديهم حرة الحركة كحملة القوس ،أما حملة السيوف والحراب فكانوا يحملون دروعا فى أيديهم بينما يستخدم الجميع بدون أستثناء خوذ للرأس وكانت غاية فى الزخرفة .

أما الإدارة العسكرية فكانت أكثر تنظيما فى عهد المملكة الحديثة عما كانت عليه من قبل ، فمثلا لم تعد السلطة مركزية لأنهالم تعد قادرة وكافية لأجراء التجنيد والأمداد والتنظيم للجيش ، فأصبحت لا مركزية فكان هناك رئيس للشئون الأدارية وأركان حرب للأفراد للجيش ولديهما كل الوثائق والسجلات الخاصة بالمهمات والتموين والمعداتوالأفراد والأجور وكانا مسئولين عن توزيع الإمدادات على المستودعات وتجهيز العربات لنقل المؤن وتزويد القوارب بالقوارب لنقلها عبر الأنهار ، مع إعداد قوائم للغنائم المستولى عليها من العدو .

الحصون الدفاعية

يظهر فى هذه الفترة نوع جديد من الدفاع أطلق علية « ميجدول » وكان عبارة عن

(١) يقصد البدله التى يلبسها الجندى ومصنوعة من صفائح معدنية مرنة وإلى حدما خفيفة مع وجود خوذة على الرأس . « المعرب »

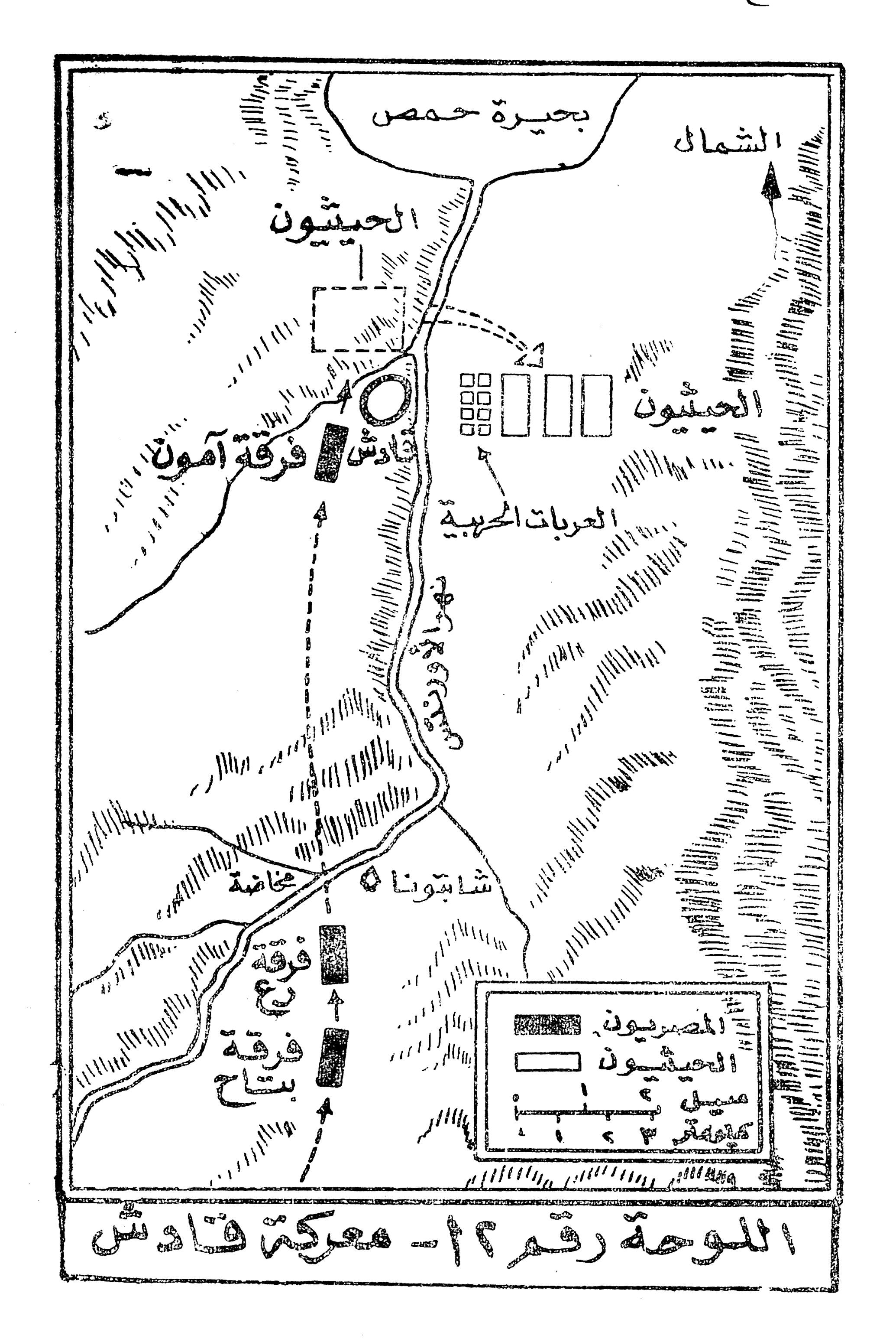
قلعة ذات حصون مستطيلة الشكل وتستخدم فى حراسة المناطق ذات الأهمية العسكريه مثل الآبار والطرق الرئيسية وقد ظهرت المهارة الهندسية الفائقة فى فن التحصين والقلاع فى الألف سنة الثانية قبل الميلاد . وعلى سبيل المثال حصار مدينة مجدو والمشكلة الأزلية لهذا العصر وهى المياه ، فكان بئر المياه تقع خارج أسوار قلعة مجدو فقام أهل المدينة بحفر حفرة أسطوانية الشكل لعمق ٦٠ قدما فى أرض الحصن وأقرب ما يمكن لمكان البئر الخارجية وقاموا بتوصيل هذه الحفرة بالبئر الخارجية عن طريق نفق خلال الصخر طوله ١٤٠ قدما . ولم يستخدم المصريون أثناء أقتحام الحصون فى هذه الفترة الكبش وذلك لسمك أسوار هذه الحصون وكانت الطريقة المعتادة لمهاجمة المدن المحصنة هى تحطيم البوابات بالبلط مع تسلق الأسوار بالسلالم ويتم ذلك بأن يمسك الجندى بالسلم بأحكام بكلتا يديه ويحمى نفسه أثناء التسلق بدرع توضع على ظهره ، فى ذلك الوقت يقوم المدافعون عن الحصن بالرد على هذا الهجوم بواسطة وحدات الرماة ، أما حملة الحراب فيضربون الجنود الذين ينجحون فى التسلق والوصول إلى قمة السور . لذلك كان مهاجمة الحصون القوية بهذا الأسلوب ينجم عنه خسائر فادحة ، لذلك كان يفضل القادة محاصرة الحصون فقط حتى تستسلم تحت وطأة الجوع مع اللجوء أيضاً إلى الحيل والخداع ، كما قام بذلك « توت » أحد قادة تحتمس الثالث أثناء حصار يافا عندما أوهم العدو بالاستسلام فدخلت الخدعة على سكان الحصن ، ففتحوا الأبواب ، فأجتاح على الفور الحصن وأستولى عليه ، وهناك أيضاً أسطورة حصان طروادة الذى حدث فى هذا العصر ، ويعتبر من أحسن الأمثلة لأساليب الخداع .

وقد برع المصريون فى عمل الكمائن ، وكانوا يفضلون القتال فى الأراضى المفتوحة معتمدين على مهاراتهم الحربية وقواتهم الكبيرة خفيفة الحركة وتعتبر معركة قادش بين رمسيس الثانى والحيثيين عام ١٢٧٨ ق . م . مثالا واضحاً لذلك .

معركة قادش (انظر اللوحة رقم ٢)

سادت الأمبراطورية المصرية فترة هدوء فى عهد سيتى فأستغلها الحيثيون وقاموا بإنشاء جيش قوى كبير تحت قيادة موتاللو ، حتى أصبح أقوى من الجيش المصرى . إلا أن رمسيس الثانى أصبح حاكم مصر فعمل على تقوية جيشه حتى أصبح يضارع جيش الحيثيين عام ١٢٨٨

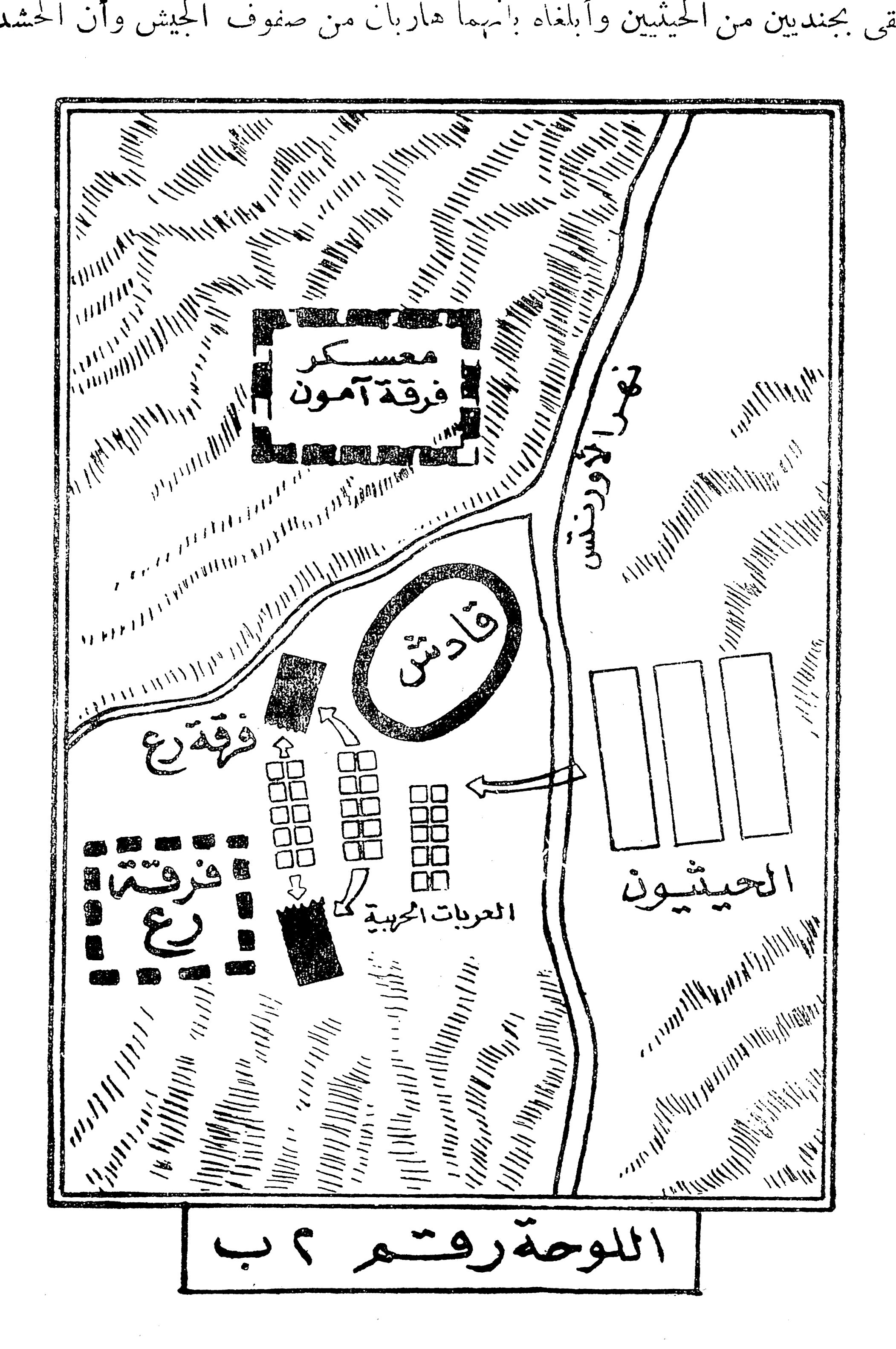
ق . م وكان يضم بين صفوفه مجموعات من المرتزقة . وفى ربيع عام ١٢٨٨ ق . م تحرك رمسيس الثانى على رأس هذا الجيش[1] حتى وصل إلى أعلى نهر أورنتس (العاصى) ويطل على السهل الذى تقع به قادش ويمكن الوصول إليها بعد مسيرة يوم واحد .



اللوحة رقم ١٢ – معركة قادش

(١) كان جيش رمسيس مكونا من أربع فرق ، فرقة حرس رعمسيس وفرقة آمون وفرقة رع وفرقة بتاح « المعرب »

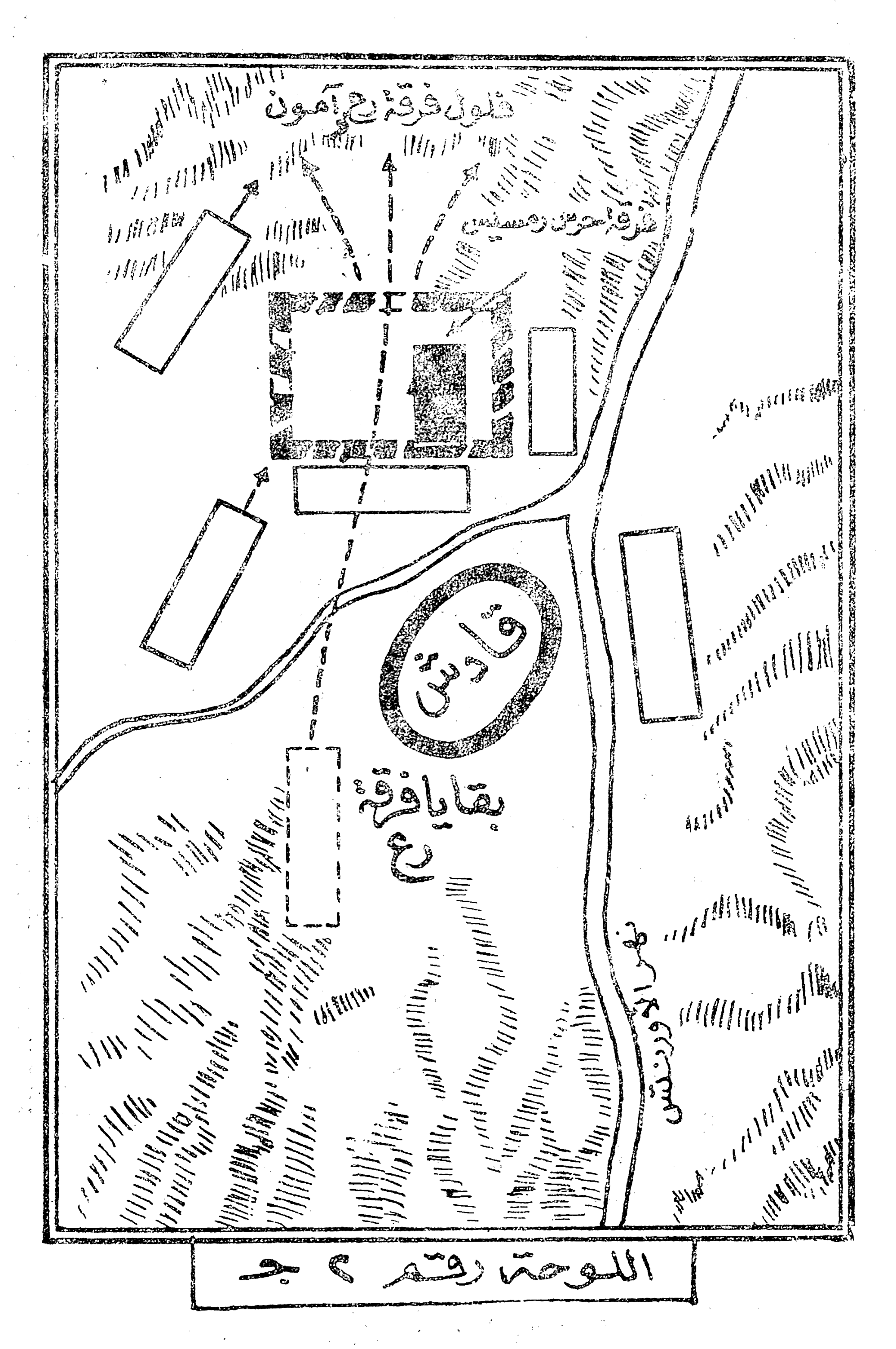
وعندما أقتراب رمسيسَ من قادش قاد بنفسه فرق آمون وعبر بها النهر بالقرب من شابتونا[١] وتقدم شمالا تاركا باقى الفرق ، وكان متلهفا لحصار قادش وواثقاً من النصر بعد أن ألتقى بجنديين من الحيثيين وأبلغاه بأنهما هاربان من صفوف الجيش وأن الحشد الأكبر



اللوحة رقم ٢ ب

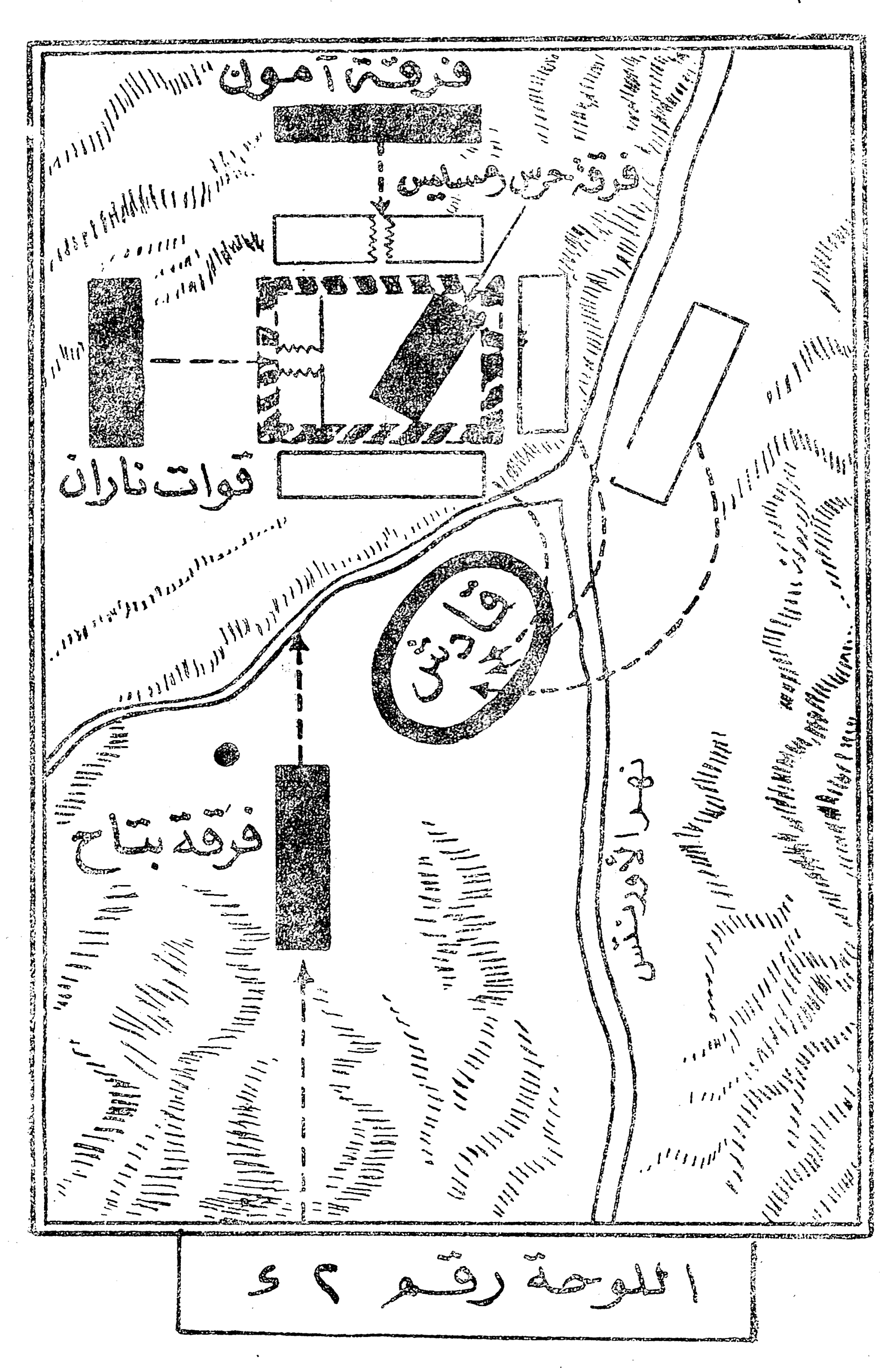
(١) شابتونا : تقع جنوب قادش بمسافه ٦ أميال « المعرب »

لجيش الحيثيين لا يزال بعيداً فى الشمال بالقرب من حلب . وكان ذلك خدعة وقع فيها رمسيس ، فقد أرسلهما موتاللو لإغراء رمسيس للاتجاه شمالا حتى يسقط فى المصيدة التى نصبها له شمال قادش. تقدم رمسيس شمالا حتى أصبح غرب مدينة قادش ، فى هذه الآونة تحرك جيش الحيثيين وعبر النهر ثم أتجه نحو الجنوب حتى أصبح شرق قادش محافظا على أن تبقى المدينة بينه وبين قوات رمسيس حتى لا يكتشف تحركه ، ونجح موتاللو فى أتمام



اللوحة رقم ٢ ج

حيلته وقام بمناورة بارعةو هاجم فرقة رع من الشرق والتى أخذت تماما بالمفاجأة ونجح فى شطرها إلى قسمين وتبعثر هذين القسمين إلى أجزاء صغيرة أنطلق بعضها نحو معسكر آمون فى الشمال ويطاردهم عن قرب وحدات من العربات الحربية وكتائب الحيثيين [١] .



اللوحة رقم ٢ د

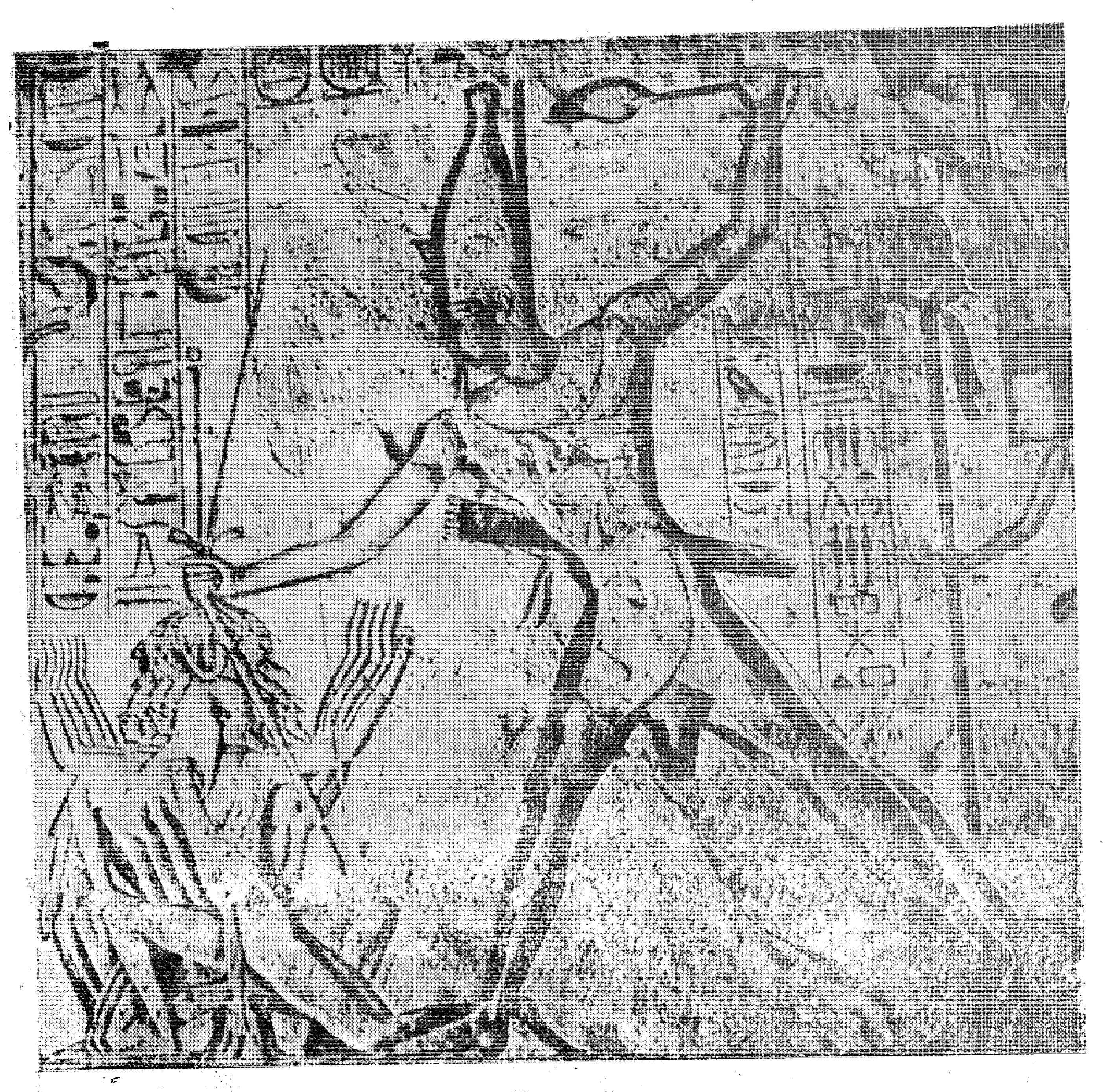
(١) كانت تقدر قوات الحيثيين التى تطارد المصريين بحوالى ٤٧ ألف مقاتل « المعرب » .

وأصبح بذلك رمسيس معزولا فى الشمال ويهاجمه قوات كبيرة من الحيثيين ، بينما باقى قواته تقاتل بعيدا فى الجنوب لدرجة أنه أصبح من المشكوك فيه أنها ستلحق به وتقاتل معه . وكان الجزء الأكبر من جيش موتاللو يتمركز فى قادش لكى يحمى ظهره مع توفير قاعدة حصينة لقواته. ولم يدرك رمسيس فداحة الموقف إلا بعد أن قبض على جاسوسين آخرين من الحيثيين واعترفا له بالصدق فى هذه المرة ، بأن جيش موتاللو خاف مدينة قادش فى ذلك الوقت وصلت فلول فرقة رع وخلفها قوات الحيثيين فأصاب فرقة آمون والتى يقودها رمسيس الذعر والأرتباك ، فأرتدت على أعقابها فى تحركات عشوائية ظهر معها أن خيوط الهزيمة بدأت برمسيس . ولكن رمسيس قدر موقفه بسرعة وقرر القيام بهجوم مضاد ولكنه وجد أنه لن يستطيع كسر حده هجوم الحيثيى فى منطقة الوسط (القلب) إلا أنه لاحظ أن الجناح الشرقى لهم والمتحرك بمحازة النهر ضعيفاً ، فعلى الفور وجه هجومه المضاد إليه بواسطة عرباته الحربية . وبالرغم من ذلك كان الحيثيين لا يزالون مسيطرين على منطقة الوسط ، وما كان عليهم إلا أن يركزوا جهودهم ويحشدوا قواتهم فى الجناح الشرقى ضد هجوم رمسيس المضاد ، وبذلك يضمنون النصر كاملا ، ولكنهم بدلا من ذلك بعثروا قواتهم وأنهمكوا فى سلب الغنائم من معسكر المصريين فى منطقة الوسط بعيدين عن حراسهم وكانت هذه هى اللحظة الحاسمة فى المعركة . وعلى الفور دفع رمسيس بقوات ناران[1] من الغرب لمهاجمتهم فتحسن موقف القوات المصرية فى منطقة الوسط ، وفى نفس الوقت أستمر المصريون فى الضغط على الجناح الشرقى للعدو ، وهنا برزت عظمة التفوق التكتيكى لأستخدام العربات الحربية المصرية والمسلحة بالأقواس المركبة بعيدة المدى ، بينما كانت العربات الحربية للحيثيين أقل عدداً وأبطء حركة وتسليحها قاصرة على الأقواس قصيرة المدى .

وتم دحر موتاللو وجيشه ، وأجبر على الأنسحاب للخلف عبر نهر العاص ومعه ٦٠٠٠ جندى وأصبح عاجزاً تماماً بعد فقده لجميع عرباته الحربية تقريباً فى هجومه الأول على منطقة الوسط للمصريين ، وبذلك أصبحت مشاته عاجزة هى الأخرى أمام ضربات العربات الحربية للمصريين ،وعند حلول المساء وصلت فرقة بتاح إلى ميدان المعركة ، فأضطر الحيثيون

---

(١) قوات نارات : وهى القوات الكنعانية التى يقودها فاران وتخدم مع القوات المصرية . « المعرب »



رمسيس الثانى يوسع الأمبراطورية المصرية



رمسيس الثانى يقود عربته الحربية أثناء معركة قادش

إلى الأنسحاب داخل قادش وأخذوا يعدون أنفسهم للحصار ، ولكن المصريون أنسحبوا دون أحتلال قادش وبذلك أنتهت المعركة نهاية غير حاسمة أو محددة .

وفى الحقيقة تفوق موتاللو على رمسيس أستراتيجياً ولكن قيادته الخاطئة وسوء تنظيم جيشه وافتقاره للأسلوب الفني[1] فى الحرب أفقدته المعركة ، بينما أستطاع رمسيس قيادة رجاله بحكمة وبراعة فأستطاع تجنب كارثة محققة .

قيام الدوله الآشورية (أنظر اللوحة رقم(١))

وبعد معركة قادش ، أضمحلت كل من الإمبراطورية المصرية والحيثية وفترت عزيمة ونزعة المصريين للفتوحات، بينما شعر الحيثيون بالقوة المتزايدة للأشوريين ، بالإضافة إلى ذلك أجتاحت قبائل المهاجرين[2] مناطق جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط من أتجاه بحر أيجه . . وبدأت غاراتهم المتفرقة تزداد عنفاً حتى أصبحت خطيرة ، وأصبحت من القوة بحيث لا تقاوم . وأستولوا فى عام ١٢٠٠ ق . م على جزء من دولة الحيثيين وتقدموا نحو سوريا ، وأصبحوا يشكلون خطراً وتهديداً مباشراً لمصر .

وقد أعيـــد تنظيم الجيش المصرى بواسطة سيتنخت ورمسيس الثالث وكان الرماة المصريون لا يزالون يحتفظون بقوتهم. وفى عام ١١٩٠ ق . م أستطاعوا صد الغزاة براً وبحراً على الساحل الفينيقى ، وقد أطلق على هذا الغزو « الهجرة المسلحة » لأن القوات الغازية كانت تصحبها عربات كبيرة محملة بممتلكاتهم وعائلاتهم . وبعد أن هزمهم رمسيس أسكن رعاياهم المدنيين على الساحل وكانوا يسمون بالفلسطينيين . وبعد ذلك وبالرغم من ضعف الفراعنة لم يستطع أى غاز أن يخترق أرض مصر حتى ظهور الأشوريون فى القرن السابع قبل الميلاد وأصبح الآشوريون فى هذا الوقت أقوى دولة عسكرية فى الشرق الأوسط .

من افق السماء حتى ذروتها

كنت معجباً جداً بالأشوريين وأنا ضابط صغير ذاهب للحرب فى جنوب أفريقيا

---

(١) يقصد أن العربات الحربية والأسلحة عند الحيثيين كانت متخلفة فى التطور عنها عند المصريين

(٢) الأندو أوروبى أو كما كانوا يسمون بالآرى «المعرب»

وأقتبست هذه السطور من قصيدة بيرون وأسمها « سينا خريب[١] المدمر » .

« وهبط الآشوريون من سفح الجبل كما يهجم الذئاب على قطيع من الخراف » .

« وأسلحتهم تومض فى لونها الأرجوانى والذهبى » .

والشعب الأول لآشور[٢] ينحدر من نسل موجة الهجرة الساميةالثانية عام ٢٥٠٠ ق.م ولكن الطقس البارد ولأختلاطهم بدم غير السامى ، جعلهم شعباً قوياً صارماً ، وأصبحوا أعظم شعب عسكرى ذو براعة فائقة فى فن القتال قبل الرومان . وأستطاعوا توحيد كل شعوب الشرق الأدنى فى أمبراطورية آشور وأصبحت عاصمتهم نينوى[٣] وإذا عدنا قليلا إلى الوراء نجد أنه فى عام ٢٠٠٠ ق . م كان الآشوريين بعيدين عن الأحداث ، ولكنهم أخذوا ينمون ببطء حتى القرن الثالث عشر ق . م . وبعد أنهيار الأمبراطورية المصرية والحيثية وجد ما يسمى « بفراغ القوة » فوجد الآشوريون متنفساً لهم ليظهروا على مسرح الأحداث . وبين سنة ١٢٧٦ — ١٢٣٣ ق . م بدأوا تقدمهم السريع فى الشمال والشمال الغربى . وفى عهد طجلاط بليزر الأول (١١١٥ — ١١٠٢ ق . م) كانوا من القوة بحيث أستطاعوا ضم مساحات شاسعة لهم من الأمبراطورية الحيثية وتمكنوا من الوصول لساحل البحر الأبيض المتوسط كما أستولوا على بابل . ولكن الحرب الأهلية داخل آشور بالإضافة إلى هجمات القبائل الآرامية أدى إلى ضعف الآشوريين لمدة ٢٠٠ سنة إلا أنهم أستعادوا قوتهم ومجدهم مرة أخرى فى عهد أداد — نيرارى الثانى عام (٩١١—٨٩٩ ق.م) الذى أستطاع دخول بابل والإيقاع بين سكان الجبال والوديان فى الشمال الغربى . وأنتهج ملوك آشور فى ١٠٠ سنة التالية سياسة التوسع الدائب المستمر القائم على أساليب غاية فى الوحشية .

وكانوا دائماً يضعون القرص ذا الأجنحة[٤] على عربه الملك الحربية فى أى معركة ، ثم يوضع بعد ذلك فى البلد التى يتم فتحها والإستيلاء عليها .

(١) سينا خريب هو ملك آشور وقد قتل على يد ولديه

(٢) آشور وهى مدينة تقع على نهر دجله فى العراق

(٣) نينوى أو (نينيفة) وتقع على نهر دجلة شمال مدينة آشور

(٤) هذا القرص منحوت عليه صورة آشور وهو يقود شعبه « المعرب »

وكان الضباط الكبار فى الجيش الآشورى من الكهنة ولذلك كانوا متمسكين بعبادتهم لآشور ، وعند تمرد أى شخص أو بلد ، فيصبح هذا الشخص اثما ويلقى أشد وأقسى العذاب أما البلد فيحولونها إلى دمار شامل كما حدث لمدينة (أرينا) عندما أحتقرت الإله آشور . وكان الأشوريون يقيمون الطقوس الدينية بعد أنتصارهم فى المعارك ويجرى ذبح الأسرى أثناءها . ولم يكن هناك أى منفعة تعود على الشعوب التى يضمها الآشوريين إليهم بل على العكس كانوا ينهبون ويسلبون كل الممتلكات علاوة على أستعمالهم القسوة مع الشعب المهزوم بالقيام بعمليات النفى والطرد الجماعى وذلك لتوفير الأراضى ليسكنها الآشوريون ويتكاثروا فيها ، لأن آشور تقع فى منطقة جرداء فى المنطقة العليا لنهر الدجلة وكان عليهم أختيار أحد أمرين ، أما البقاء فى هذه الرقعة الصغيرة المقفرة ، أو القيام بالغزوات فيحصلوا على الأرض والغنى ، ولكى يسيروا فى طريق التوسع كان لزاما عليهم تأمين حدودهم الشرقية والجنوبية مع فرض سيطرتهم على الشمال والغرب .

ولم تكن هناك إلا مشاكل طفيفة حتى القرن السابع ق . م بسبب الهجرات الجماعية وكانت السياسة الآشورية تعتمد على فرض قوة وسلطة ملك بابل على القبائل ، ولكن بعد فترة طويلة من الثورات والتمرد ، قام سينا خريب بالأستيلاء على بابل عام ٦٨٩ ق . م . وفى عام ٦٣٩ ق . م قام أشور بانيبال بتدمير مملكة العيلام مما أدى إلى وجود فراغ هيأ لظهور مملكة فارس . وهكذا نجد أن المشاكل الرئيسية أخذت تظهر فى كل من الشمال والغرب ، ففى الشمال مثلا كان لابد للآشوريين من القيام بحملات دورية لتأديب القبائل التى تسكن الهضاب وخاصة قبائل الأورارتيين وأخيراً المهاجرين من السيثيين والسامريين ، وأستعادة السيطرة عليهم . أما فى الغرب فقد أثبتت التجارب أنه لا يوجد غير الغزو وأحتلال هذه المنطقة لكى يمكن إستغلال الإمكانيات التجارية بها إلى أقصى حد ، مع الإستمرار فى أخضاع هذه القبائل لهم .

وقد قام طجلاط بليزر الثالث (٧٤٥ — ٧٢٧ ق . م) بغزو أبعد المناطق فى الغرب وهى مدينة كاركميش وكانت وسيلته فى ذلك أبادة القوة الصغيرة ثم توجيه ضربات قاضية للعدوين الرئيسيين وهما أورارتو[1] ودمشق . وخلال سلسلة من الحملات بتقدم شمالا نحو دجلة

(١) كانت أورارتو مملكة قديمة وتقع بين بحيرة ڤان والقوقاز « المعرب » .

موجهاً ضربات متلاحقة شرقا وغربا ضد الميديين وداخل سوريا ، وتم له فعلا سحق أورارتو والأستيلاء على دمشق ، وبعد ذلك أستسلم حكام كل من فينيقيا وفلسطين وبعض الدويلات الأخرى ثم أبتدأ بعد ذلك التقدم نحو الجنوب .

وبعد ١٨ عاما من المعارك والحملات مات الملك وترك المملكة الآشورية التى تمتد حدودها الشرقية من بيت يا كين على الخليج العربى إلى جبل بيكنى . أما حدودها الغربية فالبحر الأبيض المتوسط إلى مصر وعلى حد قوله « من أفق السماء حتى ذروتها » .

وأحتفظت آشور بقوتها وسيطرتها بعد ذلك على الشرق الأدنى لمدة قرن من الزمان ، وقد حاول المهاجرون السامريون التقدم ولكن سارجون الثانى دحرهم فى موقعة كبيرة عام ٧٠٥ ق . م . وأخيراً فى عام ٦٧١ ق . م قام الملك أسر حدون بقيادة الجيش الأشورى وأستولى على كل مصر العليا .

والآن نتساءل كيف حقق الآشوريون كل هذا النجاح العسكرى ؟ .

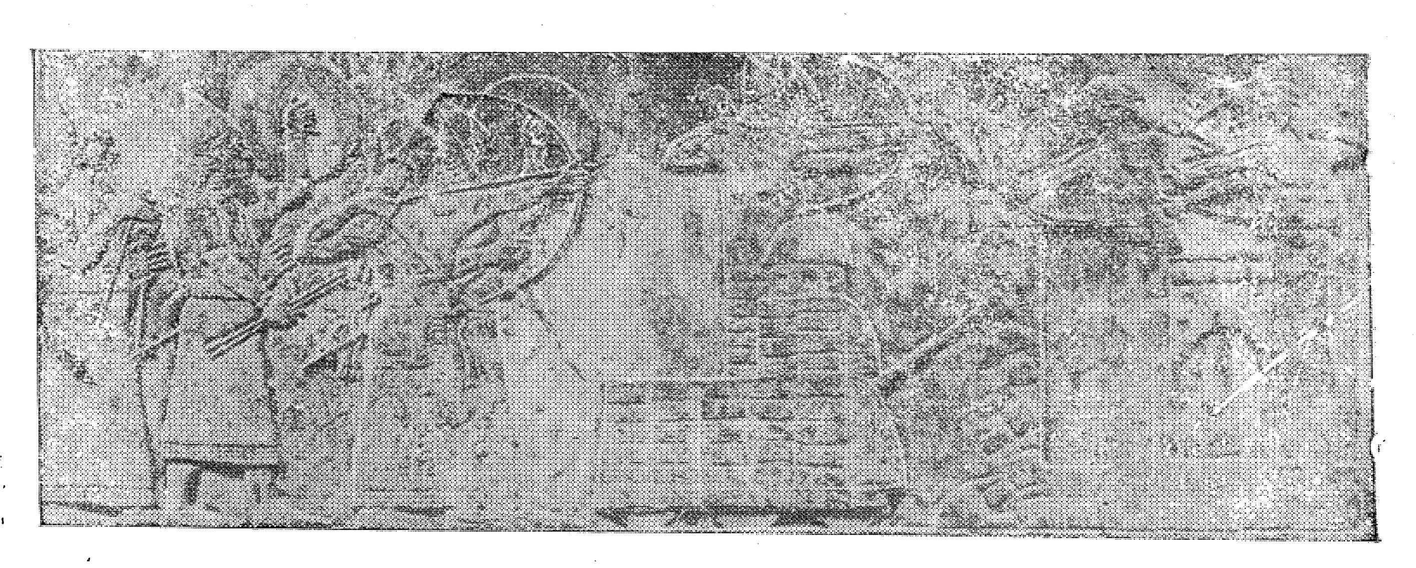
يبدو أنهم كانوا متفوقين فى بعض الفنون غير فن الحرب ، إلا أن فن الحرب كان شاغلهم الرئيسى ويظهر لنا بوضوح الوصف التاريخى للآشوريين من خلال اللوحات المرسومة والمنحوتة فى القصور الملكية وتبين حروبهم وبعض فنونهم الأخرى . ولذلك فنحن على دراية تامة بتطورات أسلحتهم وتكتيكهم العسكرى . وكان الآشوريون يعتبرون أقوى قوة عسكرية شهدها العصر الحديدى ، وكانت أسلحتهم أصلب وأمضى من أى أسلحة ظهرت فى العصور السابقة .

ظهور الفرسان

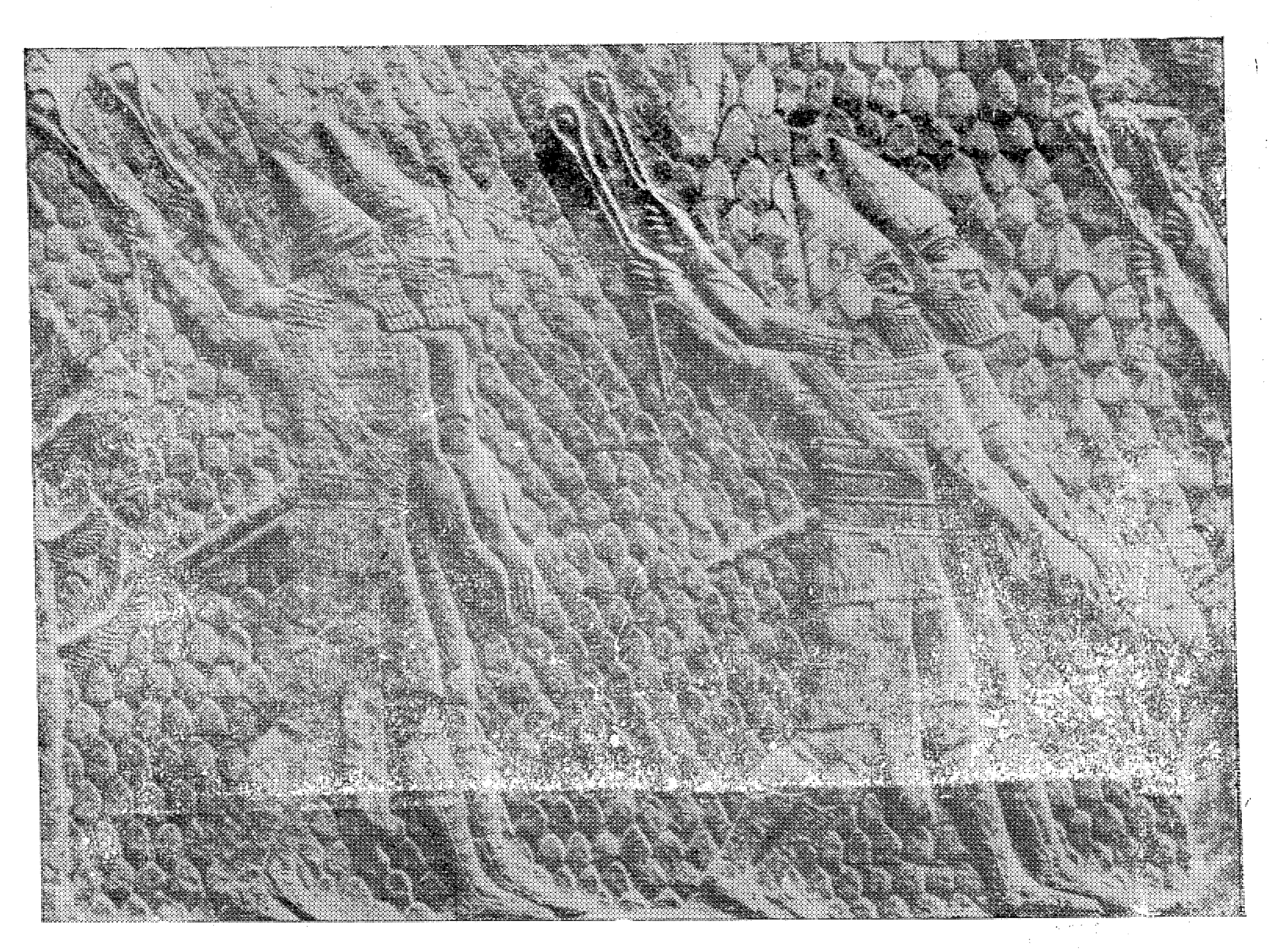
وكان الآشوريون أول شعب أدخل نظام الفرسان فى الجيوش فى حوالى سنة ١٠٠٠ ق.م بفترة وجيزة . وكان هؤلاء الفرسان نوعين حملة الأقواس وحملة الحراب ويستخدم النوعين فى القتال المفتوح القريب والبعيد ولكن لم يستخدما مطلقاً فى مهاجمة الأماكن المحصنة .

وعند نشوب المعركة كان على حملة الحراب من الخيالة أن تفتح ثغرة فى قوات العدو ثم تندفع خلفهم المشاة من حملة الحراب ، أما الخيالة من حملة الأقواس ، فيقومون بمهاجمة مؤخرات

الآشوريون أول من أدخل نظام الفرسان فى الجيش



الآشوريون يهاجمون المناطق المحصنة بكبش متحرك



المشـاة الآشورية من حملة المقلاع

وأجناب العدو فى تشكيل ثنائى[١] . وبالرغم من إستخدام الخيالة إلا أن السلاح الرئيسى للجيش كان العربات الحربية ، ففى عهد الملك آشور بانيبال أرتفع عدد طاقم العربة من أثنين إلى أربعة[٢] . وأصبحت العربة نفسها أثقل ويجرها أربعة خيول .

أما قوات المشاة فكانت تتكون من حملة الحراب والرماة ورماة المقلاع . ويرتدى حملة الحراب أردية مصفحة وخوذات .

وقد أجرى الآشوريون عدة تجارب على الدروع للحصول على الحجم والشكل والوزن المناسب بحيث يعطى درجة كافية من الحماية مع سهوله الحركة للمقاتل ولكنهم لم يتوصلوا لنموذج ثابت .

وعادة كان حملة الحراب هم قوات الصدمة التى تقود الهجوم بالمواجهة ، وكانوا أيضاً ذوى أهمية كبيرة فى مهاجمة المدن المحصنة. وتتكون القوة الرئيسية للمشاه من الرماة لأنهم العناصر الهامة لكل أنواع الهجوم بما لديهم من أقواس متقدمة الصنع من النوع المركب . وفى العهود الأولى كانوا يرتدون أردية طويلة مصفحة ، ثم فى عهد طجلاط بليزر الثالث قام بتغييرات جذرية فى جميع الأسلحة ومنها أستخدام دروع كبيرة[٣] ، وقلنسوات للجنود ووحدات من الرماة خفيفة الحركة وأدخل تحسينات على القوس بحيث أصبح طرفا القوس مائلين قليلا إلى الخلف مما يؤدى إلى سهولة جذب الوتر وبالتالى سهولة وقوة الرمى ، كما أستعمل المقلاع لأول مرة فى عهد طجلاط بليزر الثالث وكان ذا فاعلية وتأثير شديدين أثناء مهاجمة المدن الموجودة فوق المرتفعات، وكان المشاه يحملون بالأضافة إلى سلاحهم الخاص، سيفاً طويلا مستقيما محمولا فى غمد على الفخذ الأيسر. ولم يهزم الآشوريون طوال ٤٠٠ سنة من القتال المتواصل وكانت جيوشهم فى أزدياد مطرد وكان لأعدائهم السوريون والأورارتيون والعيلاميون جيوش مماثلة، ولكن يرجع نجاح الآشوريون إلى أن ملوك آشور كانوا قادة ميدانيين من

---

(١) يقوم بالهجوم كل أثنين من الخيالة أحدهما للرمى بينما يمسك الآخر أعنة الحصان ويحمل درعا كبيراً يحمى الأثنين . أما وقاية الخيول فيضعون لهم دورعا جلدية .

(٢) يتكون الطاقم من سائق ورامى واثنين من حملة الدروعا لوقاية الطاقم .

(٣) كانت الدروع أطول من قامة المقاتل ولها شخص خاص لحملها « المعرب »

الدرجة الأولى ولهم اليد المطلقة فى توجيه جميع أمكانيات الدولة فى حالة الحرب علاوة على دقة وتنظيم قواتهم ، فكان هناك جيش نظامى يخدم فيه جميع البالغين لفترة محددة، وكان الأغنياء يدفعون المال أو يرسلون العبيد بدلا من أبنائهم إذا أرادوا ذلك ، وعلى الشعوب المهزومة إرسال كتائب للخدمة فى الجيش الآشورى .ويجرى أمداد القوات والضباط من الحكومة المركزية أو من الجزية التى تفرض على المناطق التى يحتلونها ، وبعد الأنتهاء من المعركة تقسم الغنائم بين القوات . وكان يدعم الجيش نظام كفء من المخابرات ، وكذا أجهزة من المسئولين المدنيين المنتشرين فى المقاطعات للحصول على ما يمكن الأستفادة به من المعلومات العسكرية .

العمليات الحربية

كانت القوة الضاربة للجيش الآشورى لا تعطى أى فرصة للشعوب الأخرى للوقوف أمامها فى معركة مفتوحة،فأعتمدت فى الشعوب الدفاع على الأماكن المحصنة.ولا يوجد لدينا سجلات توضح بالتفصيل المعارك المفتوحة للآشوريين ، فأصبح من المستحيل معرفة الأستراتيجية والتكتيك اللذين أستخدمها الآشوريون فى عملياتهم . ويحتمل أن تكون العربات هى التى لعبت الدور الرئيسى فى الحروب فكانت تقوم بالهجوم من جميع الأتجاهات وتشترك فى القتال بجميع أبعاده أما باقى التشكلات فتقوم بعد ذلك بتطهير الفلول التى تبقى على أرض المعركة بعد هجوم العربات،وأقوى دليل على ذلك تلك النقوش البارزة للملك آشور بانيبال والتى تصور معركته مع العيلاميين والعرب عند نهر أولاى ويظهر موقف الجيش العيلامى العصيب المكون من وحدات رماة خفيفة ومشاة وبعض الفرسان ، أمام الجيش الأشورى ذى الوحدات المجهزة والمناسبة للمنطقة التى يحارب فيها ، وكانت هذه الوحدات تتكون من الفرسان المسلحين بالأقواس والحراب والمشاة من حملة الحراب ومعظم هؤلاء يلبسون دروعا ثقيلة ، علاوة على وجود مجموعات أضافية من الرماة الخفيفة ينتشرون فى أرض المعركة لأحداث أكبر قدر من الخسائر وتبين الرسومات المنحوتة على الجدران سير المعركة التى تبدأ بهجوم كاسح وينتهى بدفع بقايا العدو إلى الخلف نحو النهر وذبح الأسرى .ومن الواضح أن الفرسان والمشاة كانوا يدخلون المعركة بعد ما تحدثه العربات الحربية من فوضى فى قوات

العدو وكان الفرسان يعملون على أجناب العدو لمنعه من الهرب ويدفعونه للخلف نحو النهر ثم ذبحه . وكان الآشوريون محاربين ممتازين فى جميع أنواع الأراضى من جبال أورارتو[1] . حتى مستنقعات بيت ياكين وفى الصحراء أيضاً .

وهناك نقوش للملك سينا خريب توضح تقدم المشاة خلال مدينة كثيفة الأشجار ويوضح الرسم المشاه المترجلة من حملة الحراب وهى تتقدم فى صفوف منتظمة بينما يتبعها مجموعات صغيرة لتأمين الأجناب والمؤخرة . وكانت الفرسان من حملة الحراب وحملة الأقواس يلعبون الدور الرئيسى بمعاونة المشاة فى مناطق الغابات أو الجبلية . فكانوا يتقدمون إلى الأمام فى صفوف منتظمة بينما تحمى المشاة أجنابهم ، وأصدق مثال يوضح مقدرة الأشوريين فى التغلب على صعوبة أرض المعركة ، تلك العمليات البرمائية التى قام بها الملك سينا خريب فى منطقة مستنقعات دلتا نهر دجلة ، فقد ظهر فى الرسم المشاة وهم يعملون كجنود بحرية ، ويقومون بهجومهم من داخل قوارب خفيفة وبالمناورة بين أعواد البوص باحثين عن العدو ومشعلين النيران فى ملاجئهم ، كما كان الجيش الآشورى له القدرة على تحريك تشكيلات كبيرة لمسافات طويلة عبر المدن الجبلية ، كما وصلوا إلى مستوى جيد من البراعة والمهارة الفنية فى التغلب على العقبات الطبيعية وخاصة الأنهار ، ويظهر فى نقش آخر مجموعات كبيرة من العربات تعبر نهراً واسعاً بجميع معداتها الثقيلة ، وكانت هذه العربات تعبر النهر على قوارب كبيرة تعمل بالمجاديف ويساعدها من الشاطىء الآخر فريق يشد القوارب بالحبال ، بينما تسبح خيول العربات خلف القوارب وهى مربوطة بحبال فى القوارب ، أما الجنود فكانوا يسبحون بمساعدة جلود الماعز المنفوخة محافظين إلى أقصى حد على أسلحتهم من المياه ، كما كان يقيم المهندسون العسكريون فى بعض الأحيان الكبارى العائمة عبر مجارى المياة الصغيرة .

الحرب التفصيلية قبل الميلاد

قامت الدول الصغرى مثل سوريا وفلسطين بتطوير أسلوب التحصينات لكى تواجه الآشوريين ، وبالتالى قام الآشوريون بتطوير فن حرب الحصار ، وكان نجاحهم فى ذلك راجعا بدرجة كبيرة إلى تنسيق وأستغلال أمكانياتهم العسكرية إلى أقصى حد ، وأستخدموا

---

(١) جبال أورارتو (أنظر اللوحة رقم ١) « المعرب »

معظم أساليب فن الحصاد (١) مع أستخدام الحرب النفسية .

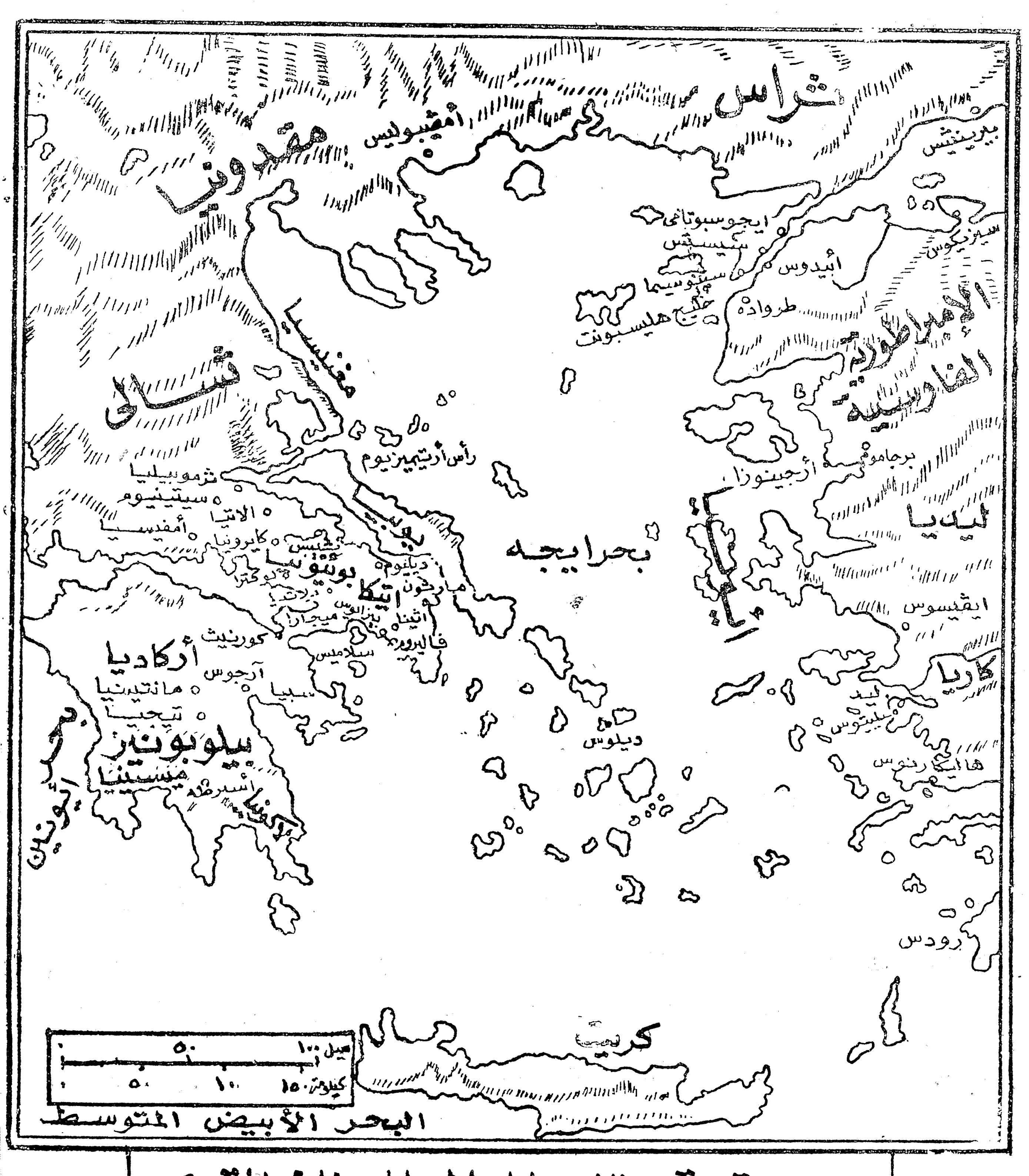
وكان الكبش فى بداية عهدهم كبير الحجم وغير متقن الصنع إلى حد ما ، ومحمولا على ستة عجلات وطوله يصل إلى ١٥ قدما كما كان يوجد فى مقدمته ما يشبه البرج بأرتفاع ١٨ قدما ، ويحتوى بداخله على المنجانيق مربوطاً بحبل ليسهل قذفه ، وكان رأس المنجانيق يشبه البلطة التى تنحشر بعد إنطلاقها من العربة فى بوابة أوسور الحصن ثم بعد ذلك يقوم الجنود بتحريكه ليخلخل السور وينهار . وقد أرجع طجلاط بليزر الثالث نجاحه إلى أستخدامه نوع جديد من المنجانيق ذا وزن خفيف ومحمول على أربع عجلات . وكان أطقم المنجانيق معرضين لخطر جسيم لتعرضهم للسهام المنطلقة من أقواس رماة العدو ، ولذلك كانت هناك وحدات من الرماة تتحرك فى أبراج متحركة لتحميهم ، ويجرى الهجوم على الأسوار بواسطة حملة الحراب الذين يحملون سلالم التسلق ، محولين أهتمام المدافعين عن أطقم المنجانيق الذين ينتهزون هذه الفرصة للبحث عن النقط الضعيفة فى الحصن . وفيما بعد عندما أصبحت الحصون أكثر قوة ، فضل المهاجمون السلالم على المنجانيق ووصل طول السلم إلى ٣٠ قدما . وكانت تشترك فى الهجوم على الحصن فى وقت واحد جميع وسائل الأقتحام ويؤازرها رماة السهام النارية . وفى عهد سيناخريب أصبحت هجمات الآشوريون أكثر تخريبا ودمارا وقوة عند أستخدامهم للسلاح الجديد وهو المقلاع . وفى بعض الأحيان كان يصطدم الآشوريون بقوات للعدو كبيرة أو بتحصينات قوية لا يمكن دكها فكانوا يحاصرون الحصن أو يستخدمون الخداع . ومثال لذلك ما جاء فى الأنجيل فى وصف الطريقة التى نادى بها رابشاكيه على المدافعين عن حصن القدس مستخدما لغتهم طالباً أستسلامهم وعدم أطاعة أوامر قائدهم حزقيا ، وكان هذا عبارة عن مثال للحرب النفسية المبكرة إلا أن حصن القدس نجا من الحصار نتيجة لما يتمتع به حزقيا من بعد النظر ، بتوفير مصدر للمياه داخل الحصن وذلك بتحويل المجرى العلوى لنهر جيجون إلى أسفل نحو الجانب الغربى من القدس . فقد حفر بمهارة هندسية فائقة قناة فى الصخر الصلب ولمسافة ٦٥٠ ياردة بحيث تصب فى

(١) مثل أجتياح المتاريس والأقلاع ، النفاذ خلال الحوائط والبوابات والتسلق ، والنفاذ عبر الأنفاق « المعرب »

خزان داخل المدينة وقام أيضاً ببناء مخازن أحتياطية لتخزين الزيت والدقيق والنبيذ. ويعد سور مجدو الضخم مثال لفن تطوير التحصينات، فقد بنى فى بداية القرن التاسع عشر ق . م وسمكه ٧ أقدام عند القاعدة، ومزود بشرفات بارزة عرضها ١٨ قدما بها فتحات للضرب منها، وبنوا سورا آخر منخفضا ليزيد من قوة السور الكبير . وتبين النقوش هجوم الملك سينا خريب على لاكيش وظهر المدافعون عن الحصن على طول الفتحات التى يدافعون من ورائها، وقاموا بتزويد هذه الفتحات بأطارات خشبية خاصة ليعلقوا عليها دروعهم بحيث تصبح ساتراً يمكن للرماة العمل من خلفه بحرية .

وفى عام ٦٣٩ ق . م أستطاع الملك آشور بانيبال أن يحقق الأستقرار فى أمبراطوريته فقد ساد السلام الجزء الجنوبى الغربى بعد أن أصبحت ليديا حليفة له بينما سحق العيلام ثم وقعت الكارثة ... فنحن لا نعلم على وجه الدقة ماذا حدث، ولكن من المؤكد أنه بموت الملك حدثت خلافات ومنازعات طويلة على من يخلفه . وقد تحالف كل من نابو بلصر ملك بابل مع سايا كساراس ملك ميديا على تدمير الآشوريون الذين أستنفدت الحروب الأهلية قوتهم فى عام ٦٢٠ ق . م وكان قادة الأعداء رجالا أكفاء، فوجد الآشوريون أنفسهم عاجزين عن مقاومتهم إلى أن تمكن نابوبلصر من ألحاق هزيمة ساحقة بهم فى كابلينو فى عام ٦١٦ ق . م، وبعد ذلك بعامين وصل سايا كساراس إلى نينيفة (نينوى) ثم تحول جنوبا وأشترك مع البابليين للأستيلاء على آشور . وحتى هذا الوقت لم تكن الأمبراطورية الآشورية تحطمت تماما ولكن فى عام ٦١٢ ق . م شارك السيثيين والبابليين والميديين فى الهجوم على نينيفة . وأخيراً سقطت الأمبراطورية الآشورية أمام تحالف القوى وقد ألقى مليكها سين شار أشكون بنفسه فى النيران المشتعلة فى عاصمته وكان آخر ملوك الآشوريين .

وأنتهى بذلك تاريخ شعب أشعل الحروب فى الشرق الأدنى لأكثر من ٦٠٠ عاما بدون هوادة وكان يخرج دائما منتصراً .



اللوحة رقم ٣ - العالم اليونانى القديم

الفصل الرابع

الأغريق القدامى

النصر أو الموت (أنظر اللوحة رقم ٣)

خلال الصفحات السابقة ، قمنا بعبور ما يقرب من سبعة آلاف سنة من تاريخ الحروب والتى أنتهت بأنهيار الدولة الآشوريه فى عام ٦١٢ ق . م وبينما كانت هذه الأحداث تقع فى الشرق الأدنى كانت سحب الحرب تتكاثف متجمعة بعيداً فوق الغرب .

ويمكن القول بأن عصر البطولة الأغريقية بدأ فى عام ١٤٠٠ ق. م عندما سيطر على بحر أيجه القادمين من كريت . وفى عام ١٢٠٠ ق . م بدأ هؤلاء وبعض شعوب إيجه فى الأغارة على كل من الأمبراطورية المصرية والحيثية مما أدى إلى أنهاك قواها . وقد تحدث هومر عن أحدى هذه الغارات على مدينة طروادة .

وكانت المعارك فى هذا الوقت عبارة عن سلسلة من البطولات والشجاعة بين المقاتلين الأبطال أمثال أجاكس وديوميدس وهيكتور والأخير كان أعظمهم جميعاً . وقال هومر :—

— وقف أشيلس عاليا فوق مسرح الموت. . .

— الجميع يغطيهم التراب . . . ويملأ الرعب قلوبهم . . .

كان المحاربون يذهبون إلى ميدان القتال فى العربات الحربية ثم يترجلون ويخوضون قتالاً فردياً (فرد ضد فرد) بين هتافات أتباعهم وكان تسليحهم بسيطاً لتسهل حركتهم فيحمل كل منهم درعاً مستديرة ورمحين للقذف وسيفاً مستقيما ، أما القوس فأصبح سلاحاً محتقراً ولا يستخدمه إلا الجبناء ، فإذا لم تحسم الرماح الأمر تتبع بمبارزة بالسيوف لأنهاء الصراع . وظلت الرماح السلاح الرئيسى للأغريق بالرغم مما حدث من تغيير .

وبعد أنقضاء جيلين على حرب طروادة ، قامت الهجرة الدوريانية بغزو اليونان[1] وتلا

---

(١) وكانت تسمى بلاد الأغريق « المعرب »

ذلك أربعة قرون من الصراع العنصرى إلى أن تم الأندماج بين الغزاة والمقهورين ودخلت اليونان فى ذلك الوقت العصر الحديدى .

وحتى القرن الثامن ق . م كانت آرجوس[١] تحكم كل منطقة البيلوبونيز الشرقية ، وبعدها بدأ عصر أسبرطة[٢] . وفى الفترة ما بين ٧٤٠ — ٧١٠ ق. م قام الملك ثيوبومبس ملك أسبرطة بضم كل من ميسينا ولاكونيا إلى مملكته ، وبذلك ضمن لنفسه موارد الحديد والقوى العاملة من العبيد[٣] .

وفى عام ٦٦٩ ق. م مرت أسبرطة بفترة مؤقته من التداعى والأنهاك على أثر هزيمتها بواسطة فيدون ملك آرجوس فى وادى هيسيا علاوة على ثورة العبيد التى أستمرت ١٩ عاماً . ومع بداية القرن السادس ق. م أستعادت أسبرطة قوتها ثانية ودخلت فى طور السيادة العسكرية فى اليونان لمدة ٢٥٠ عاماً .

وفى الفترة ما بين ٦٢٠ — ٦٠٠ ق. م أدخل ليكورجس المؤسس الشهير لدستور أسبرطة نظاماً أجتماعياً وآخر سياسياً جديدين وهكذا أصبحت أسبرطة دولة عسكرية ، فأقتصر التعليم على إنتاج جنود أكفاء فقط ، بينما يقتل الأطفال المتأخرين جسمانياً أو عقلياً . ويتم تدريب الشباب من سن ٧ إلى ٣٠ على النظام وتحمل المشاق داخل تشكلات خاصة ، لذلك نجد أن جميع الذكور كانوا يخدمون فى الجيش وبهذا كونوا جيشاً محترفاً مدرباً قوياً ويدين بقانون « النصر أو الموت » وكان يقود هذا الجيش ملك أسبرطة شخصياً ، بينما يقوم العبيد بسد جميع الأحتياجات الإدارية الأخرى .

وعاشت أسبرطة فى أستقرار سياسى بفضل هذا النظام بالرغم من تعدادها القليل إلا أنها كانت قوية فسيطرت على البيلوبونيز وعلى العبيد . وفى عام ٥٦٠ ق. م تحالف الملك نكساندريدامع مدينة تيجيا[٤] فى البيلوبونيز الوسطى لأقامة نوع من الأتحاد تحت القيادة السياسية لأسبرطة .

(١) أحدى مدن الدوريانية

(٢) تقع هذه المدينة فى البيلوبونيز الجنوبى (المورة)

(٣) وكان يطلق عليهم أسم الأقنان ومفردها قن أى عبد

(٤) مدينة أدكارية فى وسط المورة « المعرب »

وفى عام ٥٤٦ ق. م. هزمت أسبرطة آرجوس فى معركة الأبطال ، إلا أن الأسبرطيين فى عام ٤٩٥ ق. م تحت قيادة كايوميميس أستطاعوا تحطيم آرجوس نهائياً فى معركة سبيا .

ولكن فى هذا الوقت بدأ يلوح فى الأفق أول حرب كبرى بين اليونان والفرس .

الهوبليت

ففى عام ٥٥٢ ق . م أنتهز قورش العظيم مؤسس الأمبراطورية الفارسية فرصة زوال دولة آشور، وقام وبعده أبنه قمبيز على مدى ثلاثين عاماً بفتح كل من ميديا وبابل وليديا ومصر . وفى عهد الملك دارا **الأول** عام ٥١٢ ق . م أمتدت الأمبراطورية الفارسية غرباً حتى وصلت الدانوب. وفى عام ٥٠٠ ق.م طلبت المدن اليونانية فى جزر أيونيا[١] الحماية من اليونان الأم ، وبناء على ذلك قرر دارا الأول غزو جميع المدن اليونانية ، وأمام هذا الخطر الأول من نوعه ، أتحدت كل المدن اليونانية تحت قيادة أسبرطة وتمكنوا من صد الغزو الفارسى الأول فى ماراثون فى عام ٤٩٠ق. م وكذا الغزو الثانى فى سلاميس وبلاتيا فى الفترة بين ٤٨٠ — ٤٧٩ ق . م .

وقد حقق الأغريق هذه الأنتصارات العظيمة على قوات الفرس الجرارة لأستخدامهم أثنين من أروع وأفضل أدوات الحرب وهى فرق الهوبليت[٢] والسفن الثلاثية المجاديف .

وقد أعتمد تكتيك الهوبليت على مواجهة العدو بخطوط[٣] صلبة كثيفة من مختلف أنواع الدروع والحراب وكانت متتالية ، وعند الألتحام مع العدو يضرب كل مقاتل خصمه بالحربة فى رقبته .

وكان واجب الصف الخلفى الأسراع لملأ الثغرات التى تحدث فى الصفوف الأمامية بالأضافة إلى حمل الأسلحة الأحتياطية وتضميد جراح جنودهم وقتل جرحى الأعداء .

وأصبح من الأهمية والحيوية أن تصمد وتتماسك هذه الخطوط لأن كل مقاتل فى الخط

---

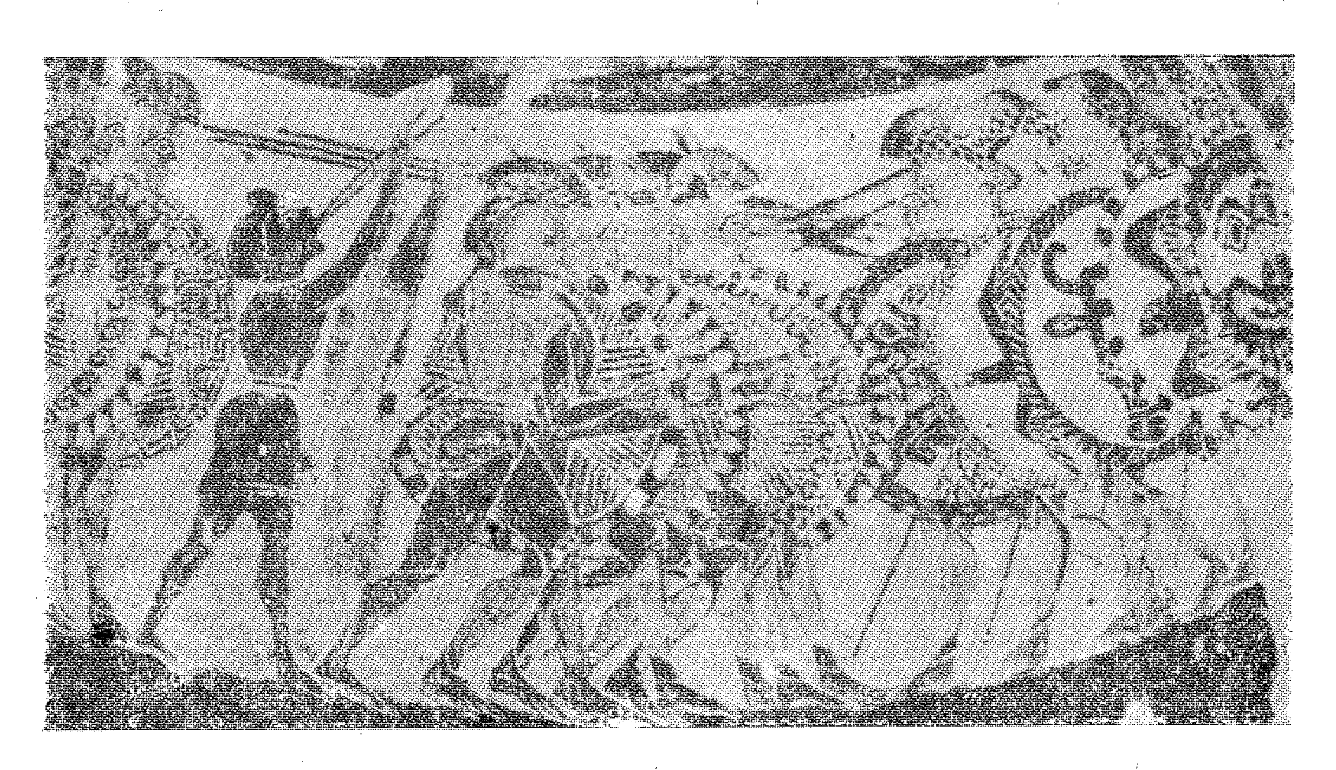
(١) كانت تحت الحكم الفارسى

(٢) الهوبليت : ـ وهم عبارة عن المشاة المدججين بالسلاح أو المشاة الثقيلة ويحمل الجندى رمحا طوله ٨ أقدام وسيفا ودرعا واقيا للصدر ، ودروعا لوقاية الارجل ودرعا قطره ٤ أقدام يثبت بالذراع الأيسر وخوذة متوجة بشعار .

(٣) كانت السرية المشاة فى بلاتيا تتكون من ثمانية صفوف « المعرب »

يعتمد أعتماداً كلياً على جاره .ولم يحاول المقاتلون أظهار مهارتهم الفردية أثناء القتال ولكنها كانت تظهر فى المجال الرياضى فقط .

وكان النظام والضبط والربط من العوامل الرئيسية للحفاظ على تماسك قوات الهوبليت وذلك لتفادى حدوث الثغرات فى الصفوف الأمامية وكان هذا يعتمد على الروح المعنوية للجنود .



الهوبليت تقوم بالهجوم على نغمات الفلوت

وكانت المعارك عادة قصيرة وتتقرر نتيجتها على عدد القوات ورباطة جأشهم وتماسكهم وكان نجاح المعركة يتوقف على من يقوم بالضربة الأولى ، لذلك كانت الهوبليت تبدأ الهجوم على الفور بكل قواتها وفى حشد ، ولو حدث وكسر الخط الأول فالهوبليت يتراجعون ويفرون لعدم وجود أحتياطى وبالتالى كان من المستحيل القيام بهجوم مضاد ، ولم تكن هناك مطاردة للعدو المهزوم ، لأن هذا النوع من الحروب كان يقضى بل يستهلك قوى القوات المحاربة . وكان المهزمون يرضخون للأمر الواقع بسرعة ، وجرت العادة على أن يرسل المهزوم رسولاً يعترف للمنتصر بالهزيمة ويطلب التصريح بجمع قتلاه لدفنهم .

وهكذا نجد أن التكتيكات الحربية كانت محدودة جداً ، فلم يكن هناك أى نوع من المناورة بل أكتفوا بالهجوم المباشر فقط وأصبحت أسبرطة سادة هذا النوع من الحروب لتمتع

قواتها بالتدريب والنظام الراقى ، وقد أدخلوا على أسلوب الهجوم تحسينات طفيفة وهذا أدى إلى تحقيق النصر عبر ثلاثة قرون .

كانت القوات المتقدمة تميل بطريقة طبيعية نحو اليمين ، فكل جندى يريد الإحتماء بدرع زميله الذى يجاوره ، وينتج عن هذا أن الجناح الأيمن للقوات يطوق تلقائياً وإلى حد ما الجانب الأيسر للعدو ، وقد أستغل الأسبرطيون هذا الميل ، فبعد تطويق العدو ، يحاصرونه فى مكان واحد ، ثم يقومون بهجوم ثابت بطىء على نغمات موسيقى الفلوت للقضاء عليه .

وأدى هذا الإستخدام التكتيكى المحدود إلى الحد من الإستراتيجية والإبتكار .

وكانت الأرض المفضلة للمعارك هى الأرض المنبسطة لأن الأرض الوعرة تؤدى إلى تكسر صفوف القوات المتقدمة فتضعف من صلابتها .

وكانت معركة حربية واحدة قصيرة كفيلة بحسم أمر الحملة العسكرية كلها . وعلى أى حال فقد أدت الطرق الوعرة والبلاد الجبلية والقوات الصلبة إلى الحد من التطور التكتيكى والإستراتيجى وعدم تحقيق المفاجأة . وكان يفضل فصل الصيف لشن الحروب ، فكان ذلك الوسيلة الوحيدة لإجبار العدو للخروج من أسوار المدينة للدفاع عن مزروعاتهم وقطعانهم والذى أخذ المهاجم فى إتلافها . أما عمليات الحصار فكانت نادرة ، ومثال لذلك عام ٤٩٥ ق.م فشل الأسبرطيون فى الإستيلاء على مدينة آرجوس ، ولا توجد أى سجلات أو آثار تدل على أن مدينة ماتم أجتياحها قبل عام ٤٢٤ ق. م. وعلى كل لم يقاتل الهوبليت أى سلاح آخر غير المشاة ، وكان من الممكن أن تكون الخيالة ذات تأثير فعال لو كان لدى الأغريق الجياد القوية ، ولكن بلاد الأغريق لم تكن بالبلد الملائمة لتربيـة الخيول لأفتقارها إلى المراعى ، أما فى أثينا فكان لديهم مجموعة من فرسان النبلاء الأرستقراطيين وقد أعتمد الثساليون على الفرسان فى قتالهم للهوبليت عام ٥١١ ق. م. ولكن الهوبليت هزمت وكانت هزيمة فريدة من نوعها . ولم تستطع العربات الحربية والرماة صد هجوم الهوبليت ، لأن العربات الحربية فى الواقع كانت تستخدم فى اليونان للأحتفالاف والمهرجانات الرياضية . أما الفرس الذين فتحوا آسيا باستخدام فرسانهم ورماتهم أستخدموا أسلوباً جديداً للحرب مع الأغريق ، إلا أنهم تلقوا هزيمتهم على أيدى الهوبليت فى موقعة بلاتيا فى عام ٤٧٩ ق. م.

فقد أستخدم بوسانياس توقيتا مناسباً، فبعد أن أمطر الفرس المدينة بالسهام وأخذوا يعيدون تجميع قواتهم قام هو بالهجوم بالهوبليت .

القيادة بين الفرس والأغريق

لقد عرفت اليونان عن قريب وقمت بأستكشاف معالمها أثناء خدمتي في منظمة حلف شمال الأطلنطي . وأستطيع أن أعلق على النظام العسكرى الأغريقي خلال عصوره القديمة بأنه بالرغم من أن هذه البلاد أكثر من ثلاث أرباعها جبلية إلا أن الأغريق أستخدموا أسلوباً تكتيكياً وتشكيلات تصلح فقط للقتال في الأراضي المنبسطة ، ولذلك أصبحت المعارك عبارة عن مباريات باطشة ليس فيها مناورة أو نيران أو حركة ولا حتى فرصة لأظهار مهارة القائد، وكان على القائد أن يرسم خطة المعركة ويضع أفضل رجاله في المكان المناسب ويشجعهم على القتال ببسالة ، وبعد ذلك يخوض معهم القتال مثله مثل أى مقاتل آخر. ولم يكن هناك هيكل قيادى ولا رتب متوسطة بين الضباط .

والجدير بالذكر أن الأغريق لم يكن لديهم أى دافع لتطوير نظم ووسائل الحرب، فالجميع ماعدا الأسبرطيون مقتوا النظام وكرهوا الحرب، ولكنهم كانوا يقاتلون بكفاءة إذا أضطروا لذلك فقط وكانت فلسفتهم فى هذا أن الأنسان الشجاع الذى يتحلى بأحاسيس نقية لاتؤثر فيه آلام أو مباهج الحياة ، لذلك لن يتداعى أمام الخطر ، وعندما سمع بيركلز نبأ مقتل شباب يونانى فى ساموس شعر وكأن فصل الربيع قد أنتزع من السنة ، أمابالنسبة للفرس فكانت نظرتهم للحرب مختلفة ، وعليه فأختلف تنظيمهم أيضاً ، فلم تكن المشاة هى السلاح الرئيسى فى جيوشهم ، لأن المشاه كانت غالبيتها من عبيد الأرض ورجال القبائل التى تسكن الهضاب ولم تكن فى قوة المشاة الأغريقية ، ولكن الفرس أعتمدوا على الفرسان وذلك يرجع إلى مجتمعهم الذى يقوم على الأرستقراطيين وكبار ملاك الأرض وأتباعهم وكانوا هؤلاء يشكلون سلاح الفرسان الذى خشاه الأغريق كثيراً . ومثال لذلك فى مدينة ماراثون عام ٤٩٠ ق.م أستطاعت المشاة الأغريقية القضاء على مشاة الفرس بسهولة علاوة على أن فرسان الفرس لم يستطيعوا تقديم العون لمشاتهم أو القيام بالمناورة أو حتى الهجوم لأن المعركة دارت فى أرض ضيقة على الشاطىء. وحدث مرة أخرى فى ثيرموبيليا فى عام ٤٨٠ ق.م

أن مشاة الفرس رفضت الألتحام مع مشاة الهوبليت الذين تقدموا تحت غطاء كثيف من رماة السهام من الأمام والخلف .

ونلاحظ أن أنتصارات الأغريق على الفرس تمت بأتباعهم مواقف دفاعية أو القتال على أرض من أختيارهم يصعب فيها أستخدام فرسان الفرس، وفى هذه الظروف كان هذا التكتيك والأسلوب غاية فى الحكمة .

استراتيجية الحرب البحرية

لم يكن هناك أسطول حربى فى عصر البطولة الأغريقية ، فالسفن كانت تستخدم فقط فى النقل .

ولكن فى القرن السابع ق.م ظهرت السفن الحربية ذات المقدمة الحادة التى يمكن بها أختراق سفن الأعداء وكانت مجهزة أيضاً بأسطح ليقصف منها الجنود سفن الأعداء أو يصعدون إليها إذا أقتربت منهم . وفى عام ٦٥٠ق.م كان أهم أساليب التكتيك البحرى هى الأختراق[١] ولذلك أصبحت السفن أطول وأسرع ومنها السفينة بنتكونتر التى يقوم بالتجديف فيها خمسة وعشرون رجلا على كل جانب من جوانبها . وفى الفترة بين ٥٥٠ — ٥٠٠ ق.م أدت المنافسة بين اليونان والأسطول الفينيقى التابع للفرس إلى تطوير السفن اليونانية وأصبحت قوية وتتمثل فى السفن ثلاثية المجاديف[٢] والتى سيطرت على مياه شرق البحر الأبيض المتوسط لمدة قرنين من الزمان،وأصبحت فيما بعد النموذج الذى تطورت منه باقى السفن الحربية والتى سيطرت على الحرب البحرية حتى موقعة ليبانتو فى عام ١٥٧١ ق.م. وقد قدمت هذه السفن مجالا كبيراً للملاحين ليقوموا بالمناورة لتميزها بالسرعة الفائقة وأول معركة أشترك فيها أسطول من هذه السفن كانت معركة « ليديا » عام ٤٩٤ ق.م عندما سحق الفرس الثورة الأيونية.

وخلال الأعوام السابقة لعام ٤٩٠ ق.م كان واضحاً أن الفرس على وشك القيام بغزو

(١) الأختراق : — يقصد الكاتب أن السفينة الحربية تصدم بمقدمتها الحادة سفن الأعداء فتحطمها

(٢) السفن ثلاثية المجاديف يقوم بالتجديف فيها ١٧٠ رجلا كل منهم يعمل على مجداف واحد وتلك المجاديف مركبة فوق بعضها على شكل صفوف متدرجة مزودة بمساند ممتدة بطول صفوف هذه المجاديف لمساعدتهم « المعرب »

اليونان براً وبحراً ، مما دفع ملتيادس[1] إلى تحصين مدينة بيزايوس (بيريه) وجعلها قاعدة أثينا البحرية .

فى عام ٤٩٠ ق. م نزل الفرس فى ماراثون وتبعد عشرين ميلاً إلى الشمال الشرق من أثينا ، وكان ذلك جزءاً من الأستراتيجية البحرية المخططة لخداع الجيش اليونانى ، ليندفع نحوهم تاركاً أثينا التى يتم الأستيلاء عليها بواسطة الطابور الخامس من داخل المدينة تعاونهم عملية أنزال بحرى أخرى فارسية فى مدينة فاليرم وكان هذا يتطلب من الهوبليت الأثينية السير جنوباً بأقصى سرعتهم من ماراثون بعد أنتهاء المعركة هناك لكى يحولوا دون عملية الأنزال فى فاليرم ، وأستطاعت بشق الأنفس أن تلحق الأنزال الفارسى عند فاليرم .

وقد أدرك تيميستوكليس القائد الآثينى فى عام ٤٨٠ ق.م أحتمال حدوث غزو آخر ، إذا لم تصبح لأثينا أعظم وأقوى أسطول بحرى فى منطقة بحر أيجه ، وسيكون ذلك نذيراً بهلاك أثينا بل اليونان بأسرها .

أسطول من ١٢٠٠ سفينة حربية

ومرت اليونان بفترة هدوء عند تمرد مصر على فارس ، وبعد موت ملك الفرس دارا الأول عام ٤٨٦ ق . م إلا أن خليفة دارا وهو سيركسوس بدأ أستعدادات على نطاق واسع لغزو اليونان من البر ويساعده فى نفس الوقت أسطول حربى . وقد كلف الفرس هاربالوس[2] ببناء كوبرى خشبى محمل على السفن على خليج هليسبونت (الدردنيل) بين أبيدوس وسستس وكان هذا الكوبرى محملا على ٣٠٠ سفينة من النوع الثلاثى المجاديف ومن نوع بنتكونتر والمتصلة ببعضها بواسطة ستة سلاسل قوية . وفى ربيع ٤٨٠ ق . م تقدمت القوات الفارسية تحت قيادة سيركسوس نحو شمال اليونان بقوة بلغ عددها ١٦٠٫٠٠٠ سرية ، وطبقاً لما كتبه هيرودوت نقلت القوات فى ١٢٠٠ سفينة حربية و ٣٠٠٠ سفينة نقل إلى شمال اليونان .

وفى مجلس عام أغريق تحت رئاسة أسبرطة وضعت الخطة الدفاعية عن اليونان ، قرروا

---

(١) ملتيادس : — قائد من أثينا .

(٢) هاربالوس المهندس اليونانى الذى يعمل لحساب الفرس « المعرب »

مقابلة الفرس فى الممر الضيق بالقرب من ثرموبيليا شمال أثينا بـ ٨٠ ميلاً وإلى الشرق من قناة يوبيا وذلك للتقليل من تأثير التفوق العددى للعدو . وكان الغرض من عملية ثرموبيليا هو أغراء سيركسوس بتطويق وتدمير الأسطول الأغريق فى معركة بحرية واحدة . وحيث أن كل شىء كان معداً من قبل فأرسل جزء من الأسطول اليونانى مكوناً من ٣٢٤ سفينة ثلاثية المجاديف و ٩ من نوع بنتكونتر تحت قيادة الأدميرال يوريبيادس الأسبرطى إلى قناة يوبيا ، أما القوة الضاربة للأسطول فكانت تحت قيادة تيميستوكليس الأثينى . وكان الفرس يهدفون السيطرة على ممر ثرموبيليا وحصار الأسطول اليونانى فى قنـاة يوبيا ، إلا أنه عندما كان الأسطول الفارسى يبحر شرق شاطىء مغنيسيا قامت عاصفة هوجاء وحطمت معظم سفنه ، وهذا أغرى تيميستوكليس لمهاجمة أسطول العدو وهو فى حالة فوضى . وعلى الفور قام بالهجوم ودارت بينهما معركة قاسية وغامضة أمام رأس أرتيميزيوم ، وبعد يومين من القتال أصبح الفرس قريبين من النصر ، وبينما كان اليونانيون يفكرون فى الأنسحاب وصلهم خبر سقوط ثرموبيليا بعد أن صمد الملك الأسبرطى ليدنيداس ومعه ٧٠٠٠ من الهوبليت (من بينهم ٣٠٠ أسبرطى) أمام جيش الفرس الجرار إلا أن أحد الخونة أرشد الفرس على طريق يمكن تطويق الممر منه ، وكانت النتيجة المحتومة أن جميع المدافعين قتلوا عن آخرهم وأستولى الفرس على الممر المتجه جنوباً ثم تحركوا نحو أثينا ، وما كان من الأسطول اليونانى إلا أن أبحر خلال الليل فى قناة يوبيا ثم ألتف حول أثينا متجهاً إلى الجنوب.

وقد قمت بزيارة ثرموبيليا عام ١٩٣٣ وشاهدت النصب التذكارى المقام هناك لتخليد ذكرى الأسبرطيين الذين ماتوا دفاعاً عن الممر وقد نقشت عليه العبارة التالية : —

« يا من تمرون من هذا الممر . . . أذهبوا وبلغوا أهل أسبرطة أننا هنا راقدون . . . ولقوانينهم منفذون . . . » .

سقوط سيركسوس فى الفخ (أنظر اللوحة رقم ٤)

لقد سبق أن ذكرنا فى بداية هذا الفصل القانون الأسبرطى « النصر أو الموت » لذلك لم يصبح أمام الأسبرطيين غير الأسطول الذى أتجه إلى الجنوب لأنقاذ اليونان ، ولكن

ظهرت مشكلة كيف يمكن أغراء الأسطول الفارسى للقتال فى معركة بحرية مع اليونانيين وفى منطقة من أختيارهم ؟

وقد وجد تيميستوكليس أن المياه أمام شواطىء جزيرة سلاميس هى أنسب مكان للمعركة ، لأنها تقع عند مصب خليج أيليوسيس ولهذا الخليج مدخلان ، فالمدخل الغربى يقع بين كل من ميجارا وسلاميس أما المدخل الشرقى فيقع بين كل من بيرايوس (بيريه) والبروز الناشىء من



اللوحة رقم ٤ - معركة سلاميس

سينورسورا ، وكان المدخل الشرقى للخليج مقسماً إلى قناتين ضيقتين جــداً بواسطة جزيرة بيستياليا ، وعرض كل منهما لا يزيد عن ¾ ميل ومن الطبيعى أن الأسطول الفارسى الضخم سيتقيد فى هذه القنوات الضيقة بينما ستتاح للسفن اليونانية فرصة أفضل للقتال بواسطة ملاحيها المهرة . وعلى العموم لم يـكن الفرس محتاجين إلى معركة بحرية أخرى ليؤكدوا أنتصارهم ، ولـكن ياترى هل سيتجاهلون أسطول اليونان . . . ؟

وعلى كل فـكانت الروح المعنوية لليونانيين سيئة جداً بعد قيام سيركسوس بأجتياح أتيكا وذبح جميع المدافعين عن أكروبوليس الأثينية،أما يوريبيادس فأصابه التردد والحيرة. .. ولـكن تيميستوكليس أتخذ قراراً جريئاً وربما يكون خطيراً ، فقرر أتباع خطة لأغراء الفرس لأسر الأسطول اليونانى ، فقام بالإبحار وترك القناة الواقعة بين سلاميس وميجارا بدون حراسة ثم بعث برسالة إلى سيركسوس فى ٢٢ سبتمبر عام ٤٨٠ ق. م يخبره فيها « لقد تملك الرعب من قلوب اليونانيين ، وبدأوا يفـكرون فعلا فى الأنسحاب . . . » .

وسقط سيركسوس فى الفخ .

معركة سلاميس (أنظر اللوحة رقم ٤)

فى تلك الليلة نفسها قام أسطول سيركسوس بغلق مضيق سلاميس وبدأت القوات الفارسية فى النزول إلى جزيرة بيستياليا ، ومع خيوط الفجر كان معظم الأسطول الفارسى منتشراً فى ثلاثة خطوط متتالية بين سينورسورا وبيرايوس (بيريه).

بينما أرسل اليونانيون الأسطول الـكورنثى لمواجهة السفن المصرية[١] فى القناة الغربية ، بينما أسرعوا فى نشر باقى الأسطول[٢] اليونانى فى القنـاة الشرقية بين مدينــة سلاميس وهيرا كاين بالتنظيم الآتى يوريبيادس فى اليمين ومعه ١٦ سفينة أسبرطية ، وتيميستوكليس فى اليسار ومعه أكثر من نصف عدد السفن الثلاثية المجاديف ، أما باقى الأسطول فأخذ مكانه فى الوسط بين القائدين ، وحتى الآن لم يكن الأسطولان الفارسى واليونانى قد رأيا بعضهما ،

---

(١) كان ضمن الأسطول الفارسى بعض السفن المصرية

(٢) كان الأسطول اليونانى مكونا من ٣٦٦ سفينة من نوع الثلاثى المجاديف و ٧٠ أخرى من نوع بنتكونتر « المعرب »

ثم فجأة أفتتح الفرس المعركة ، وقد أضطروا بسبب ضيق القناة أن يقسموا أسطولهم إلى قولين بدلا من ثلاثة خطوط فإلى اليمين كان الفينيقيون وإلى اليسار كان الأيونيون. وما هى إلا لحظات حتى بدأت الفوضى والأضطراب يشيعان فى أسطول الفرس وربما نتيجة لهياج البحر أو بسبب حشدهم الزائد عن اللازم فى القناة . وكانت تلك اللحظة مناسبة فأندفع فيها الأسطول اليونانى وبدأت المعركة . وكانت خطة السفن اليونانية ثلاثيـة المجاديف تقوم على أساس تحطيم مجاديف سفن الأعداء وبالتالى أفقادهم السيطرة عليها ، وتقوم بعد ذلك السفن اليونانية التى على الجانب الأيسر بأختراقها من الوسط والصعود على أسطحها . وبعـد ذلك أقتربت هذه السفن من الشاطىء فدفعت سفن الفرس إلى الجانب الأيمن ثم إلى المنتصف مما زاد من أرباكهم وتخبطهم ، إلا أن القتال كان سجالا بينهما ولـكن بدا فى الجانب الأيمن لليونانيين بعض المتاعب إلا أنه بعد ٧ أو ٨ ساعات من القتـــال المستميت بدأت تظهر بوادر النصر لليونانيين فى كل منطقة القتال . فقد كان الأثينيون فى الجـانب الأيسر على وشك تطويق العدو من الخلف وأسره مما أدى أن الأيونيين كفوا عن القتال وبدأوا فى الأنسحاب وتم بعد ذلك تطهير جزيرة بيستياليا وأنسحب الفرس إلى فاليروم ولم تعرف خسائر هذه المعركة على وجه التحديد وعلى كل لم تـكن السفن اليونانية فى حالة تسمح لها بمطاردة العدو فأتجهت سفنها إلى ميناء سلاميس . وإذا نظرنا مليا إلى معركة سلاميس ، لوجدنا أنها ليست بالمعركة غير العادية أو المثيرة تكتيكياً ولـكنها كانت رائعة من الناحية الأستراتيجية . بعد ذلك ترك سيركسوس جزءاً صغيراً من جيشه فى اليونان بدون أى أسطول يـكفل له الأمن أو النقل أو الأتصال ، وبذلك تمـكن الأغريق من هزيمة هذا الجيش فى بلاتيا عام ٤٧٩ ق . م . وبعدها لم تتعرض ليونان لأى غزو من آسيا حتى القرن الخامس عشر بعد الميلاد .

حلف ديليان

ومن الجدير بالذكر أنه فى القرن الخامس قبل الميلاد كانت أثينا من أعظم القوى البحرية . وفى عام ٤٧٨ ق. م تـكون حلف ديليان يضم كلا من شعوب أيجه وأيونين اليونانية .

وذلك بغرض طرد الفرس من منطقة أيجة ، وقد سمى هذا الحلف بأسم ديليان لأن أموالهم وخزائنهم وضعت فى جزيرة ديلوس المقدسة وكان على الدول الأعضاء فى الحلف أن

تسهم أما بالمال أو بالسفن . وبعد فترة برزت أثينا وأصبحت تقود هذا الحلف .

وفى عام ٤٦٧ ق . م قام سيمون القائد الآثينى أبن ملتبادس بهزيمة الفرس هزيمة فادحة عند نهر يوريميدون فى مدينة بامفيليا ، وبعد هذا بعشر سنوات أرسل أسطول يونانى لمساعدة الثورة التى قامت فى مصر . وفى هذا الوقت أكتمل بناء الحصون فى بيرايوس (بيريه) ولذا تم نقل خزائن الأموال من جزيرة ديلوس المقدسة إلى أثينا فى عام ٤٥٤ ق . م ، وبذا تحولت جميع أمكانيات حلف ديليان إلى أثينا ونتج عن هذا تكوين أمبراطورية أثينية تضم أكثر من ١٥٠ ولاية تقوم كل منها بدفع حصتها فى التحالف ، مما مكن أثينا من بناء أسطول عظيم . وقد كتب توسيديدس قائلاً : —

« إن النمو الذى وصلت إليه قوة أثينا كان بمثابة جرس الأنذار لأسبرطة ، وجعله أمراً لا مفر منه » .

وفى عام ٤٣١ ق . م أندلعت الحرب البيلوبونيزية (المورة) وكان على جميع ولايات اليونان تقريباً أن تشترك فى هذه الحرب خلال السبعة والعشرين عاماً التالية ، ولكن خلال العشر سنوات الأولى ظهرت أزمة كبيرة وأخفاق تام عانى منه أسطول أثينا فى البحر بقيادة القائدين بيريكليس وفورميو ، كما عانت منه أسبرطة وحلفاؤها تحت قيادة براسيداس وباجونداس فى البر . وبدأت هذه الحرب فى الفتور فى الفترة ما بين ٤٢١ — ٤١٨ ق . م ثم أستطاع الأسبرطيون أنتزاع النصر فى أكبر معركة برية فى هذه الحرب فى مانتينيا وردت أثينا على هذا النصر بغزو صقلية عام ٤١٥ ق . م قاطعة بذلك خطوط الأمداد وتجارة العدو .

معركة « الميناء الكبير »

ولكن اللامبالاة وعدم الأكتراث التى تميز بهما القائد نيكياس الأغريقى مكنت السيرقوصيين بقيادة جيليبوس الأسبرطى والقائد الأعلى للجيش فى صقلية من محاصرة الأسطول الأثينى وتدميره فى «الميناء الكبير» فى سيرقوصة ثم أبادة الجيش بعد ذلك . وتمكنت أسبرطة بدعم من الفرس من بناء ١٠٠ سفينة حربية فمكنتها من نقل مسرح الحرب إلى شرق أيجة وهذا أدى إلى قطع خطوط الأمداد الأثينية إلا أن أثينا كانت تخطط لكسب المعارك البحرية كيزيكس وبيزنطة وأرجينوس فى الفترة ما بين ٤١٦ — ٤٠٦ ق . م ،

ولكن فى عام ٤٠٥ ق.م فاجأ الأدميرال الأسبرطى ليساندر الأسطول الأثينى فى أيجوسبوتامى (فى الدردنيل) حيث ترسو ١٧٠ سفينة وأمكن أسرهم بدون أن يضرب سهماً واحداً. وفى عام ٤٠٤ ق.م وصل الضعف بأثينا إلى مداه وسقطت وتم للأسبرطيين الأستيلاء عليها، وأجبرت على قبول شروط السلام .. شروط ملؤها العار والذل، وهكذا أدى سقوط أثينا وإنقسام القيادات السياسية والثقافية إلى أنهاء أعظم فترة للحضارة اليونانية .

الحرب البيلوبونيزية الثورة

وأهم ما يميز الحرب البيلوبونيزية هو تاريخها الذى كتبه توسيديدس فكان أول مؤرخ واقعى، لأننا لو تصفحنا سجلات الأحداث التاريخية لآشور ومصر التى كتبها هيرودوت سنجدها عبارة عن تسجيل غير كامل ومتحيز لهذه الأحداث ، لأن هيرودوت كان بارعاً فقط فى سرد القصص والروايات ، ولكن توسيديدس كان يصف ويشرح الأحداث بطريقة موضوعية وبوضوح وتعمق ، وتحليله للعقلية الأثينية من « الخطبة الجنائزية » المنسوبة لبيريكليس ، علاوة على وصفه للكارثة التى حلت بأثينا فى صقلية ، يعدان من أعظم التحف الأدبية والتاريخية .

وكانت فترة الحرب البيلوبونيزية (٤٣١ — ٤٠٤ ق. م) بمثابة المجد للأسطول الأثينى ولذلك يمكن القول بأن بيريكليس وضع كل ثقله وأعتماده على الأستراتيجية البحرية فقط ، ولم يدرك أن أثينا لن يمكنها تحقيق النصر فى هذه الحرب بدون قوات برية قادرة ومدربة ، وقد أدى أهماله للتوازن بين القوى البحرية والبرية إلى الهزيمة النهائية لأثينا .

لم تحسم الصدام التقليدى بين كتائب المشاة ، الحرب البيلوبونيزية ، وكانت هذه الحرب أعظم الحروب القديمة التى شهدتها اليونان من حيث أتساع مجال عملياتها ومدة أستمرارها. وفى هذا الوقت تطورت الحروب البرية أثناء الصراع الدائر بين أسبرطة وأثينا وثيبس (طيبة) للحصول على التفوق العسكرى والسيطرة على اليونان. وكانت ثيبس (طيبة) من أقدم المدن الأغريقية المحصنة وتقع على بعد خمسين ميلا إلى الشمال من أثينا وقد هيأ لها أمنها العسكرى[1] مركز قيادى، وأتاح لها أن تسود المدن المجاورة وتصبح أحدى القوى العسكرية الضخمة. وخلال الحرب البيلوبونيزية حدثت عدة حصارات، فنجد أن مدينة بلاتيا دافعت عن أسوارها ضد المقذوفات النارية الأثينية ، كما

---

(١) موقعها الجغرافى وتحصيناتها القوية

أستطاع أهل سراقوصة تدمير كبش الأثينيين بواسطة المخلوط الحارق[١] .

وفى عام ٤٢٤ ق. م كانت مدينة ديليوم اليونانية أول مدينة يستولى عليها بواسطة الهجوم وليس الحصار ، فقد أمكن حرق السياج الخشبي الذى تم بناءه حولها بسرعة نتيجة النيران المندفعة نحوه خلال أنابيب ضخ كبيرة .

أحذية الخيول

يمكن أن يقال أن هو ديونيسيوس الأول ملك سراقوصة كان أول يونانى برع فى فن التخطيط للحصار (٤٠٥ — ٣٦٧ ق. م.) . فقد جعل جزيرة أورتيجيا حصناً منيعاً أثناء دفاعه ضد القرطاجيين علاوة على بنائه قلعة حصينة على مرتفعات أبيبولى . وفى عام ٣٩٨ ق. م أستولى على مدينة موتيا بإقامة حاجز فوق المياه[٢] به أبراج للحصار تحتوى على كباشات ومنجانيقات وبعد عملية قذف مبدئية بدأ رجاله تسلق أسوار الحصن ليلاً . ويعتبر أستخدام أبراج الحصار والمنجانيق[٣] تطورا ثوريا ، وكان هناك نوعان من المنجانيق : —

النوع الصغير ويقذف السهام والرماح بالأضافة إلى الأحجار التى يبلغ وزنها ثمانية أرطال إلى أرتفاع يصل إلى ٢٥٠ ياردة ، ثم النوع الكبير ويمكن قذف أحجار وزنها ٥٥ رطلاً . وحتى ذلك الوقت كان الأستيلاء على المدن لايزال يتم بالوسائل العتيقة ومنها الحصار للتجويع والطابور الخامس والخيانة .

وأثناء هذه الفترة أبتدأت الأسلحة فى التنوع وزادت أهمية الفرسان والمشاة ذات التسليح الخفيف . وفى عام ٤١٥ ق. م أبحر نيكياس إلى صقلية ومعه ٣٠ حصاناً فقط ، ولكنه سرعان ما أكتشف حاجته الملحة لحماية قواته وبناء على ذلك جمع ٤٠٠ فارس من السكان المحليين وأرسل إلى بلاده يطلب المزيد وكان أجيلوس الأسبرطى من أبرع قادة الفرسان فى هذه الفترة ، ولكن الفرسان كانت تصطدم دائما بمشكلاتها التقليدية عندما تكون الحملات فى فصل الصيف حيث تشح المياه ويقل العلف بالأضافة إلى أن الأغريق لم يكن لديهم حدوة

---

(١) مخلوط حارق مركب من القار والكبريت ونشارة الخشب ومسحوق الصمغ ونسالة الكتان .

(٢) كانت موتيا عبارة عن جزيرة .

(٣) أبراج الحصار والمنجانيق اخترعها الفينيقيون . (المعرب)

معدنية للخيول أو ركاب فى السرج . أما أحذية الخيل فقد أخترعها سيلتس فى القرن الرابع ق. م. وظهر الركاب فى آسيا الوسطى فى نفس الوقت . والجياد الأغريقية لم تكن قوية بدرجة كافية لتتحمل ثقل الدروع، وبالتالى كانت معرضة لضربات الحراب خاصة بعد أن ينتهى الهجوم وتبدأ فى الأبتعاد ، وكانت الفرسان لا تلاءم أرض اليونان بل يلاءمها المشاة المسلحة تسليحاً خفيفاً وليست الهوبليت . وقد تعلم الأثينيون عام ٤٢٦ ق. م درساً قاسياً عندما أبيد ١٢٠ من الهوبليت تحت قيادة ديموستينس بواسطة حملة الرماح من رجال الأناضول . وبناء على ذلك قام ديموستينس بتشكيل قوات خفيفة ، وأدهش اليونانيين عندما أستخدمها وتغلب بها على الأسبرطيين فى سفاكتيريا عام ٤٢٥ ق. م .

المرتزقــة

وكان أعداد المشاة المسلحة تسليحاً خفيفاً لا يكلف كثيراً ، وأزداد عددهم وتطورهم بزيادة نظام المرتزقة ، فالكثير من الأغريق الذين أشتركوا فى حرب البيلوبونيز لم يكن لديهم أى مهنة أخرى بعد أنتهاء هذه الحرب ، وبذا أصبحوا جنوداً محترفين ، علاوة على وجود مرتزقة أغريق من قبل ، وقد قاموا بحفر أسمائهم على أعمدة أبو سمبل وقد عمل بعضهم حرساً خاصاً لحكام الولايات الفارسية [1] وزاد عددهم فى هذه الفترة ، ففى عام ٤٠١ ق. م أستأجر قورش ١٠٫٠٠٠ أغريقى ليقاتلوا معه عند قيامه بالثورة ضد أخيه أرتخشتر ملك الفرس . وفى معركة كوناكسا [2] ظهرت قوتهم وبأسهم إلا أن سوء أستخدام قورش لهم أدى إلى خسارة المعركة فأضطر هؤلاء المرتزقة إلى الأنسحاب من المعركة للنجاة بأنفسهم ، وقد كتب كسينوفون أحد قادتهم يصف أنسحابهم المرير لمدة خمسة شهور نحو البحر الأسود، وقد تعلموا الكثير خلال هذه الفترة عن الحرب خفيفة التسليح وخاصة حرب الرماح بقتالهم مع القبائل الجبلية أثناء شق طريقهم عبر الجبال . وفى الفترة ما بين ٣٩٥ — ٣٧٥ ق. م خدم ٢٥٫٠٠٠ أغريقى كمرتزقة خارج اليونان ، وعاد الكثيرون منهم بما تعلموه من فنون الحرب مثال ذلك من عادوا من رودس بفن المقلاع ومن كريت بفن رماية السهام .

---

(١) يسمون بالمرزبانات .

(٢) كوناكسا بالقرب من بابل . (المعرب)

وبعد فترة وجيزة من سنة ٤٠٠ ق.م ، قام أفيكروتس فى أثينا بتكوين مجموعة من المرتزقة حاملى الرماح وكانوا يرتدون جركن[1] ويحمل الجندى منهم سيفاً ودرعاً صغيرة ومدربين على المناورة السريعة ، وكانوا أكثر أنواع المشاة تأثيراً وفاعلية عدا المعارك الضخمة فى هذا الوقت . وفى عام ٣٩٠ ق. م. تمكنوا من أبادة ٦٠٠ من الهوبليت الأسبرطيين بالقرب من كورنيت .

الاحتياطى خفيف الحركة

وبظهور هذه الأنواع الجديدة من الأسلحة تغير الأسلوب التكتيكى وكان براسيداس الأسبرطى الذى أنتصر فى موقعة أمفيبوليس عام ٤٢٢ ق.م آخر قواد الهوبليت العظام والذى أستخدم الأساليب القديمة . وفى عام ٤٢٤ ق . م أستخدم القائد الطيبى باجونداس أسلوب تكتيكى جديد هزم به جيش أثينا فى ديليوم ، وذلك بتعميق الجناح الأيمن لقواته وأستخدام الفرسان كأحتياطى خفيف الحركة . وقد ظهرت أتجاهات جديدة فى التكتيكات الحربية فى اليونان ، فقد قام بلاتو برسم مهارة الإنسان فى الحرب كما قام ثوسيديدس بتحليل الحروب التى كانت تجرى من حوله ، وقد قال أكسينوفون :— « القيادة الحكيمة أن يهاجم العدو فى أضعف نقطة » . وقال افيكريتس : — « القوات خفيفة التسليح مثل الأيدى للانسان والفرسان مثل الأقدام أما خط الجنود المدججين بالسلاح (المشاة الثقيلة) فمثل الصدر ، وعليه الدرع الواقية ، أما القائد فهو الرأس » .

وقد تكوّن جيش ديونيسيوس الأول ملك سراقوصة من مجموعات مندمجة من الهوبليت والمشاة الخفيفة والفرسان ، وكان يعتبر هذا تطوراً كبيراً فى فن التنظيم .

الحشد فى المكان والزمان المناسبين

وقد طور القائد الطيبى أيبامينونداس ، حرب المجموعات تطوراً ثورياً فى معركة لوكترا عام ٣٧١ ق.م فتميز أسلوبه التكتيكى بالبساطة ، ولكنه أحتاج إلى براعة فى التنفيذ ، وأعتمد أساساً على الحشد فى المكان المناسب والحاسم للمعركة بدلا من بعثرة القوات فى كل مكان كما كان يحدث فى الماضى عندما يوزع القائد كل قواته فى كل مكان ، وبذلك يصبح ضعيفاً فى أى مكان ، تماماً كالزبدة المنتشرة على قطعة من الخبز .

---

(١) جركن عبارة عن معطف طويل ضيق من الجلد بدون أكمام . (المعرب)

وقد علم أيبامينو نداس أن الجيش الأسبرطى يحشد قواته فى الميمنة بغرض تطويق ميسرته ، وعلى ذلك قام أيبامينو نداس بمواجهة الأسبرطيين بخط مائل ، فأحتفظ بميمنته كما هى مع وضع قواته الضاربة فى الميسرة على شكل طابور مكون من خمسين صفاً تحميه قوة من الفرسان ، وبذلك تمكن من مواجهة مفاجأة الأسبرطيين بمفاجأة مماثلة ، محققاً النصر فى الميسرة مع أبقائه بأحتياطى كاف فى الوسط والميمنة .

ونجد أنه حدث فى موقعة لوكترا كما حدث فى موقعة روكروى عام ١٦٤٣ ق. م، فقد حطمت أسطورة « الجيش الذى لا يقهر » .

وفى السنة التالية حقق أيبامينو نداس نصراً بطريقة كانت بمثابة نظرية أستراتيجية جديدة فقد تقدم بجيشه من ثيبس إلى لاكونيا محرراً ميسينيا (قاعدة القوة الأقتصادية لأسبرطة) وموحداً أركاديا ، وبذلك قام بعمل توازن لما بقى من قوة أسبرطة فى الجنوب .

الاستراتيجية غير المباشرة

لقد ضعفت السياسة اليونانية بموت أيبا مينونداس عام ٣٦٢ ق. م، إلا أنه فى عام ٣٥٩ ق. م أصبح فيليب الثانى ملكا على مقدونية وكان طموحاً وعلى أستعداد دائم لأنتهاز الفرص علاوة على وضوح بصيرته زد على ذلك أنه أدارى ومنظم من الدرجة الأولى .

وقد أدرك بفطنته أن كل دويلات اليونان التى تهدد كل منها الأخرى منذ ٧٠ عاماً ، لن تتحد لطرد أى غاز ولا سيما إذا كان جيشه قوياً . وكان أسلوب فيليب السياسى هو « الحيلة قبل القوة. . . ولكن أستخدام القوة فى النهاية» .

وفى عام ٣٥٠ ق.م أحتل فيليب إلليريا[1] وبعدها تراس (تراقيا) وتسالى. وفى عام ٣٣٨ق. م أنتصر على ثيبس (طيبة) وأثينا فى كارونيا ثم بعد ذلك فى بوئيوتيا التى أعطته أخيراً السيادة على اليونان ، وبعد أنتصاره دعا كل دويلات الأغريق للأجتماع فى كورنيث وأقترح عليهم الأتحاد تحت قيادته ، وذلك لغرضين : ــ أولا لمنع أى نزاع داخل اليونان، وثانياً للقيام بغزو الأمبراطورية الفارسية للأنتقام لما حدث فى القرن الخامس ق. م من أنتهاك الفرس لليونان. وقد ظل هذا الأقتراح لوقت ما مجرد فكرة ، ورفضت أسبرطة فقط الأتحاد مع فيليب

(١) إلليريا : وهى الآن يوغسلافيا . (المعرب)

عسكرياً . ولـكن قبل أن يستطيع فيليب تنفيذ فـكرته أغتيل عام ٣٣٦ ق. م وترك تنفيذ فـكرته لمن يخلفه وهو الأسكندر أبنه .

ولم تـكن هذه الفـكرة هى كل ماورثه الأسكندر عن أبيه ، فكان جيش فيليب وأفكاره العسكرية هى الأساس الذى أعتمد عليه الأسكندر فى كل منجزاته فى المستقبل . وكان على الأسكندر أن يطور الفن العسكرى الذى وضعه فيليب فى الحرب ضد أثينا . وكانت الملامح الرئيسية لهذه الأستراتيجية تتركز فى أختيار الموقع الجغرافى المناسب مع خفة الحركة ، والتنسيق والتعاون بين الأسلحة المختلفة . وكان فيليب يطمع فى السيطرة على الشمال الشرق والجنوب . وقرر تحقيق أطماع والده بأن يضرب عصفورين بحجر واحد ويحارب الأثينيين بقطع طريق الأمداد القادم من الدردنيل ، ولـكنه فشل فى تحقيق غرضه لأن الفرس تنبهوا وساعدوا الأثينيين على فك الحصار الذى ضربه على كل من بيرنثوس وبيزنطه ، إلا أن الأستراتيجية غير المباشرة تمت بطريقة عكسية ، فقد أستطاع التحكم فى سياسة الأثنيين بعد هزيمتهم فى كارونيا ، فتحكم فى الدردنيل والطريق إلى أسيا الصغرى .

وتعتبر حملة فيليب فى كارونيا نموذجاً لخفة الحركة ، فالتحركات الطويلة السريعة كانت نادرة فى عهد الأغريق ، فعندما حاول فيليب دخول بوئيوتيا وجد أن كل من الطريق الغربى من سيتينيوم إلى أمفيسيا وأيضاً الطريق الشرقى من إلاتيا إلى كارونيا مسدوداً ، فقام بأخفاء نواياه وتقدم أولا إلى إلاتيا وتوقف هنا ، مما أدى أن المدافعين عن الطريق الغربى لم يأخذوا حذرهم ، وخلال الليل تحرك بمعظم قواته بسرعة نحو أمفيسيا وهاجم ١٠٫٠٠٠ من المرتزقة هناك وأبادهم وبذلك تخلص من الجانب الأيسر للخط الدفاعى الذى كان عائقاً أمامه لفترة طويلة ، والآن أصبح قادراً لبدء المعركة الفاصلة التى أعد لها مع أثينا وثيبس (طيبة) . ولـكنه لم يتقدم فوراً نحو الشرق لمواجهة قوات العدو الرئيسية وبدلا من ذلك أستدار بجيشه إلى الخلف إلى إلاتيا ، ثم هبط بسرعة خلال ممر بارابوتامى وأنقض على عدوه فى كارونيا .

وقد أظهرت قيادته للمعركة ولأول مرة أن الجيش الأغريقى قد تعلم كيف ينسق ويشرك كل أنواع الأسلحة فى أرض المعركة وبنجاح . وقد أصطف العدو فى هذه المعركة بخط صلب من الجنود بينما كانت المرتفعات والنهر تحمى جناحيه . قرر فيليب أحداث ثغرة فى صفوف

الأعداء ، فأصدر أوامره لكتيبة مدربة تدريباً عالياً فى الجانب الأيمن بالأسحاب مما أدى أن جناح العدو الأيسر تقدم خلفها فحدثت الثغرة ، فدفع فيليب أبنه الإسكندر[1] على رأس قوة من الفرسان فى الثغرة بينما دخلت باقى قوات فيليب خلف الفرسان بسرعة وبقوة .

القوات المسلحة فى عهد فيليب

كان الجيش المقدونى الذى قاده الأسكندر بعد وفاة أبيه فيليب يعد أحسن الجيوش تنظيما وتسليحاً وتدريباً وبطريقة لم تشهدها اليونان فى أى وقت سابق .

وقد وحد فيليب القوات المقدونية المحلية مع أتباعه الخاصة مكوناً قوة عظيمة تضم جميع الأسلحة وأصبحت وظيفة الجيش الأقليمى تكوين قاعدة وطيدة ينطلق منها الجيش الملكى (أتباعه الخاصة) بهجومه الحاسم ، وكان الجيش الملكى مكوناً من الخيالة المرافقة[2] والهيباسبيست[3] وكان الفرسان المقدونيون فرساناً ممتازين ودورهم فى المعركة القيام بضربات حاسمة ومفاجأة على أجنحة العدو أو فى الثغرات التى تحدث بين صفوفه بعد أن تقوم القوات الأخرى بتثبيت العدو . وكان يوجد حوالى ثمانية كتائب من الفرسان المرافقة وتتكون الكتيبة من ٢٠٠ أو ٣٠٠ فارس تحت إمرة ضابط ، والفارس كان مسلحاً بدرع واقية وحربة قذف ، أما الهيباسبيست فكانوا مشاة منتخبين وممتازين ومهمتهم الرئيسية فى المعركة معاونة الفرسان وباقى الفرق ، ولكن فى بعض الأوقات يتبعوا الفرسان أثناء السير الليلى السريع أو أثناء أقتحام الحصون .

وكانوا عبارة عن ٣ لواءات يتكون كل لواء من ١٠٠٠ مقاتل أما حرس الملك فيتكون من كتيبة من الفرسان المرافقة وكتيبة من الهيباسبيست .

وكان الأسكندر يقود بنفسه الفرسان المرافقة وأحياناً يقود الهيباسبيست أو القوات الأخرى ، وقاد ذات مرة مجموعات من الرماة .

أما الجيش الأقليمى ، فكان هيكله الرئيسى من المشاة ، ويتكون من ١٥٣٦ جندياً مقسمة إلى كتائب كل منها ٥١٢ مقاتلا وهذه الكتائب تشكل فى الحرب فى صفوف كل صف مكون من ١٦ مقاتلا ولكل كتيبة قائد . وكان فيليب أول من أدخل نظام تسلسل

---

(١) كان الإسكندر فى ذلك الوقت عمره ١٨ عاماً .

(٢) يسمون صحابة الملك وهم الفرسان الكومبانيون .

(٣) الهيباسبيست جنود من المشاة وتسليحهم يشابه تسليح الهوبليت . (المعرب)

الرتب بين الضباط فى الجيش الإغريقى ، وقام بتسليح قواته مثل الهوبليت ولكن بطريقة حديثة فجعل الدرع أصغر حجماً وأستبدل الرمح الذى طوله ٨ قدم بآخر طوله ١٣ قدماً وكان يطلق عليه أسم ساريسا . وكانت المشاة تقوم فى القتال بمهمة ثانوية ولكنها حيوية جداً ، وذلك بتثبيت جيش العدو ، بينما تقوم الفرسان بتوجيه ضربات حاسمة . وقد تمكن فريق من الفرسان المرافقة التى أسسها الأسكندر من ضرب فرسان الفرس بفضل مساعدة المشاة لهم أثناء القتال . وقام فيليب والأسكندر بتكوين فرق من الشعوب المتحالفة معهم ومن أهم هذه الفرق الخيالة الثقيلة من ثيساليا والفرسان من حملة الرماح من تراشيا ورماة السهام من كريت وحملة الرماح من أجريان .

الاسكندر أول من استخدم مدفعية الميدان



الأسكندر الأكبر

ويعتبر الأسكندر أول قائد يدمج قواته الخفيفة الحركة بالأسلحة الأخرى ، وقد أثبتت مقدرتها عندما دمرت العربات الحربية للفرس ، كما أثبتت كفاءة فى حرب الجبال ضد القبائل بينما أعتمد على المرتزقة فى حماية خطوط مواصلاته ، وفى السنوات الأخيرة من حروبه قام بتكوين قوة من فرسان البدو الفارسيين الرحل .

وأما وسائل الحصار التى قام بها الأسكندر فكانت مماثلة لوسائل ديونيسيوس الأول ، من الأبراج والمنجانيق والمقلاع وأسقف الوقاية ، ولم يحدث أبداً أن خذلته هذه التجهيزات .

وكان الأسكندر أول قائد يستخدم مدفعية الميدان فى جميع حملاته فكانت مقسمة إلى أقسام تحمل على ظهور الدواب . ولسوء الحظ ليس لدينا القدر الكافى عن الطريقة التى كان يتبعها الأسكندر فى إمداد القوات . وعلى كل كان للاسكندر ١٣ من كبار الضباط يعملون فى هيئة أركان حربه الخاصة بينما له مجلس إستشارى يتكون من ٨ آخرين . وكان يرافق جيش الأسكندر فى غزواته المهندسون العسكريون ، ومهندسو التعدين والبحث عن المياه وعمال للبناء وخبراء فى البحرية ، ومهندسون معماريون مثل دينوقراطيس مصمم مدينة

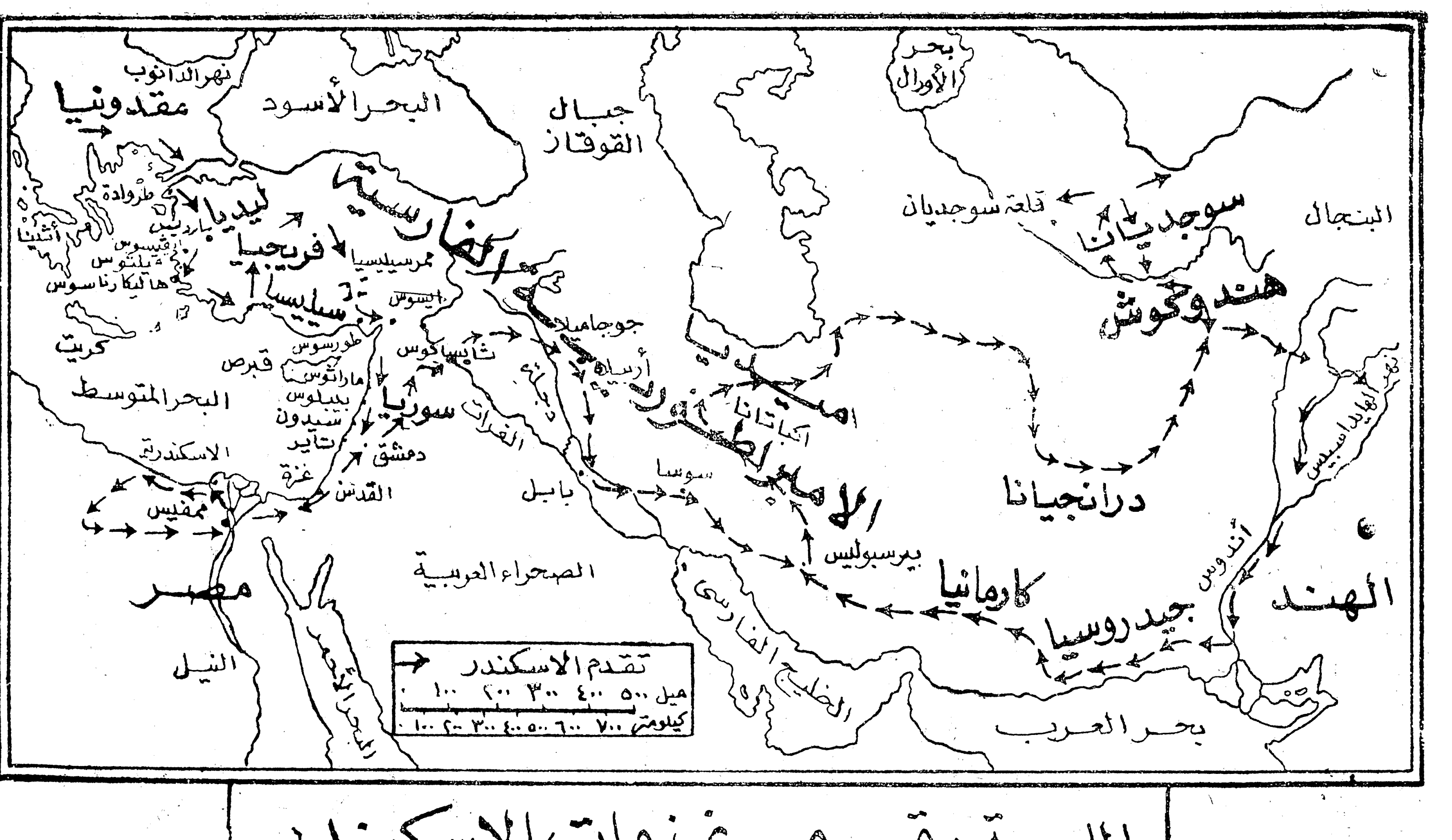
الأسكندرية علاوة على خبراء فى المساحة والجغرافيا وعلم النبات والأطباء ومجموعة خاصة لأعمال السكرتارية بالإضافة إلى مؤرخ رسمى .

وأدت هذه الإستعدادات الضخمة أن أصبح جيشه من أقوى وأكفأ الجيوش فى هذا العصر ، فقد كان معداً للقتال فى جميع أنواع البلاد وضد أى نوع من الجيوش ويتلخص الأسلوب التكتيكي للجيش المقدونى بقيادة الأسكندر فى الترابط بين المشاة الصلبة والخيالة الخفيفة والثقيلة ، وأدى هذا إلى وجود تعاون وثيق بين القاعدة التى تقوم بها المشاة وبين القوات الضاربة المتحركة التى تقوم بها الفرسان مما أدى إلى أن أصبحت تمثل خطراً كبيراً على الفرس الذين يعتمدون فى قتالهم على الحشد العددى ولكن الأعداد وحدها لم تعد ذات جدوى فى مواجهة الثبات، والتعاون وقوة النيران وخفة الحركة والمفاجأة مع القيادة الحكيمة .

الاسكندر يغزو الامبراطورية الفارسية (أنظر اللوحة رقم ٥)

لقد أمضى الأسكندر الفترة ما بين ٣٣٦ إلى ٣٣٥ ق . م . فى تأمين قاعدته الداخلية . وأستطاع قهر البرابرة وإجبارهم على الإنسحاب إلى ما وراء الدانوب بعد أن عبره رجاله على أطواف من أغطية الخيام المحشوة بالقش ، كما أذهل الإغريق بمسيرته الطويلة من حدود إلليريان حتى ثيبس (طيبة) فى ١٤ يوما ، كما أشاد به كاهن دلفى كقائد لا يقهر .

وفى ربيع ٣٣٤ ق . م قام بغزو آسيا الصغرى بواسطة ٣٠٫٠٠٠ من المشاة و ٥٫٠٠٠ من الفرسان و ١٦٠ سفينة ، ومن بين كبار الضباط الذين صاحبوه فى هذه الحملة ٤ من ملوك المستقبل وهم بطلميوس ليزيماخوس وسلوقوس وأنتوجينوس وكان عليه أن يغزو الأمبراطورية الفارسية من الدردنيل إلى البنجاب وقد شجعه على هذا الغزو ضعف دارا الثالث والفوضى التى كانت منتشرة فى أمبراطوريته بالرغم من وجود أعداد هائلة لدى الفرس وتعززها الثروة الطائلة . وكانت تكمن مقومات نجاح الاسكندر فى قيادته الجريئة التي تفوق الخيال وشجاعته النادرة وحسن تدريب قواته مع تطويره للأسلوب الاستراتيجى الذى غطى منطقة مساحتها أكثر من ٥ مليون ميل مربع ، وقد مكنه كل ذلك من خوض أربع معارك كبرى والقيام بعملية حصاره الشهيرة .



اللوحة رقم ٥ - غزوات الاسكندر

لم يتوقع دارا أى غزو لبلاده ، ولذلك لم يلتق الأسكندر إلا بقوات فارسية ضعيفة ومعها بعض المرتزقة الأغريق وقد قام بتشكيلها بعض المسئولين الفارسيين واستطاع هزيمتهم هزيمة ساحقة عند نهر جرانيكوس وبذلك سيطر على غرب آسيا الصغرى . وكانت هذه المعركة هى أول انتصار رائع للأسكندر . وقد قاد بنفسه هجوم الفرسان المرافقة على ميمنة العدو .

وبعد ذلك واصل الأسكندر زحفه حول آسيا الصغرى عن طريق ساردیس ، والمدن الساحلية (وهى ايفيسوس وميليتوس وهاليكارناسوس) ثم خلال فريجيا عندما أضطرت القبائل إلى التوجه للوديان الأكثر أمناً تحت وطأة الثلوج . وأخيرا هبط بسرعة فائقة ليفاجأ المدافعين عن بوابات سيليسيا وهم فى غفلة . وكان يهدف من وراء ذلك إلى تأمين خطوط مواصلاته قبل أن يوجه ضربته نحو الشرق البعيد مع تدمير الأسطول الفارسى القوى عن طريق إحتلال قواعده وتم له الاستيلاء على المدينة بطريقة كانت أبسط وأهدأ ما قام به من فتوحات ، وأكثر من ذلك فبعد الاستيلاء على المدينة أيدته الحركات الديمقراطية بها فدفع ذلك معظم أطقم البحرية الفارسية على الانشقاق على الفرس . وفى شتاء عام ٣٣٤ — ٣٣٣ ق. م قام الاسكندر بإيفاد جنود الأغريق المتزوجين إلى بلادهم فى أجازات ، وكانت هذه لمسة إنسانية ساعدته على كسب إخلاص جنوده وإكتساب حبهم.

ولأول مرة أخطأ الأسكندر فى تقديره عندما دفع قواته الرئيسية خلال سيليسيا إلى طرسوس مما أدى أن الملك دارا طوق الاسكندر وقطع خطوط مواصلاته ، ولكن فى نوفمبر عام ٣٣٣ ق . م وعند إيسوس[1] تمكن الاسكندر من تحقيق نصر آخر عظيم بفضل فشل الفرس فى إستغلال تفوقهم العددى وقد انتهت مشاكل الاسكندر المالية عندما استولى على خزائن دمشق ، ولم يحاول الاسكندر مطاردة دارا بل ركز إهتمامه لتدمير ما تبقى من قواعد أسطول العدو فى فينيقيا وتم له أخضاع كل من ماراثوس وبيبلوس وسيدون بسرعة ، أما تاير (صور) فقد بدت صعبة إلى حد ما .

(١) إيسوس : تقع فى تركيا قرب أطنة . (المعرب)

حصار مدينة تاير (صور)

ويعتبر حصار مدينة صور مثال كلاسيكي لقوة وعزيمة ومهارة الأسكندر وظهرت براعته وذكائه في إستخدام الأسلحة ، كما يعتبر أعظم حصار تم في العصور القديمة .

وبمقارنة ما قام به ديميتريوس ضد رودس عام ٣٠٥ ق. م فنجد أن الحصار كان على مستوى أوسع ولكن أقل في مهارته من حصار صور . فقد أوضح الأسكندر لقواده ضرورة أحتلالها حتى يفقد الأسطول الفينيقي قاعدته فيضطر إلى اللجوء إلى اليونان أو يهيم على وجهه في البحر بدون وجهة معينة ، وبذلك سيتم تأمين كل من قبرص وأيجه ويصبح الطريق إلى مصر مفتوحاً ، وعموما فقد جلب حصار صور مشاكل جسيمة على الأسكندر ، لأنها مقامة على صخرة تبعد عن الشاطىء بنصف ميل ويحيطها سور طوله ٢¾ ميل ويصل أرتفاعه في بعض أجزائه إلى ١٥٠ قدما . وكان هناك ميناءان في الجانب الشرقي يطلق على الشمالي منهما ميناء صورنيان والجنوبي يطلق عليه المصري. في يناير عام ٣٣٢ ق. م. بدأ الحصار وقام الاسكندر وكبير مهندسيه دياديس في بناء سد من الشاطىء حتى الصخرة ، وكان العمل يتقدم بسهولة في أول الأمر إلا أن المياه أصبحت أكثر عمقاً وابتدأ العمال يواجهون المتاعب من العواصف والقذائف المنهمرة عليهم من الأسوار ومن السفن الحربية الصورية . وتمكن رجال الاسكندر بعد جهد شاق من تحريك برجين من أبراج الحصار حتى نهاية المرفأ . وكان ارتفاع كل من البرجين ١٥٠ قدما ومغطى بالجلود لوقايته من السهام المشتعلة ، وقد قصفت مجموعات المنجانيق المدافعين عن الأسوار وكذا السفن المعادية ، فما كان من الصوريين إلا أن أرسلوا سفينتين حريق (١) وأحرقوا برجى الحصار بينما أبحر بعض جنود العدو في قوارب صغيرة وأزالوا ما تبقى من السد .

وأصبح واضحاً للاسكندر أنه يحارب خصما عنيداً قوياً ، وعندئذ أصدر أوامره ببناء سد أكبر ، ثم أبحر بنفسه شمالاً نحو صيدا لجمع الأسطول ، ولم يستغرق الأمر طويلا حتى كون أسطولا من ٢٢٠ سفينة لقتال الصوريين ، ولكن عندما عاد الاسكندر رفض أزميلك ملك صور أن يستأنف المعركة فحاصر الاسكندر الميناءين بالرغم من صعوبة ذلك لعدم

---

(١) محملة بالكبريت والقار ونشارة الخشب . (المعرب)

وجود أماكن لرسو السفن. وفى ذلك الوقت تم بناء السد الجديد مع وضع بطارية مدفعية من أبراج الحصار بالمنجانيق وهذه البطارية لم تستطع قذف نيرانها إلا على بعد ٢٠٠ ياردة فقط ، ولذا قام الاسكندر بتركيب كباشات على ظهر السفن لتدور حول الصخرة القائم عليها المدينة لتقتحم الأسوار لكن للمرة الثانية كان الصوريون على أتم الاستعداد وقاموا بإلقاء الحجارة فى مياه البحر حتى يصبح من المستحيل الأقتراب من الجزيرة وأمطروا المهاجمين بوابل من السهام النارية . وعلى الفور أحضر الاسكندر سفناً لتطهير المياه من الحجارة ومعها سفن حربية لحراستها ولكن الغواصين الصوريين قاموا بقطع حبال السفن المزيلة للعوائق ، وعندما أستبدل الأسكندر هذه الحبال بسلاسل حديدية ولم يستطع المدافعون الصوريون القيام بأى رد حيال هذه السلاسل وبعد ذلك أبحرت ١٣ سفينة حربية صورية من ميناء صورنيان وفاجأوا أسطول الاسكندر بينما كانت البحارة يتناولون أحدى وجباتهم على الشاطىء ، ودمروا بعض السفن ولكن الأسكندر قرر الرد على هذا الهجوم بحصار الميناء المصرى وقام بنفسه بقيادة بعض السفن ودار حول المدينة وفاجأ مؤخرة سفن العدو . وتمكنت السفن ذات الأبراج والمركب عليها الكباشات العثور على أحدى النقط الضعيفة فى السور . . . وبالتحديد جنوب الميناء المصرى . وفى الحال قام الاسكندر بهجوم شامل فدفع الأسطول القبرصى والفينيقى لتطويق الميناء وعندما وصلت هزيمة صور إلى حد مناسب ، أحضر الأسكندر سفينتى نقل محملتين بالكبارى ومجموعات أقتحام وأوصلا السفن بالسور المتصدع وقاد الاسكندر مع مساعده أدميتوس والحرس الملكى من قوات الهيباسبيست ، وتبعهم كوينوس بكتيبة أخرى .

وسار الهجوم بنجاح حتى وصلوا إلى قصر أزميلك وتم أحتلال المدينة وبذلك سقطت صور بعد حصار دام سبعة شهور .

وقد أستاء اليونانيون من الطريقة التى أتبعها الصوريون فى ذبح الأسرى وقد ثأروا من الصوريين بأن قتلوا ٨٠٠٠ منهم مع بيع ٣٠٫٠٠٠ كعبيد .

غزو آسيا

وبعد معركة أيسوس فى عام ٣٣٣ ق . م . عرض دارا الصلح والتحالف ولكن

الاسكندر لم يعر هذا الاقتراح إلتفاتاً قائلا لعدوه : « يجب على الملك أن يخاطبنى بأننى سيد آسيا » وقدم دارا أثناء حصار صور شروطاً أكثر أغراء وهى ١٠٫٠٠٠ تالنت[١] ويد أبنته بالإضافة إلى وضع غرب الفرات تحت حكم الأسكندر .

وقد ألح بارمنيون على الاسكندر لقبول هذه الشروط ، لأن اليونانيين أعتقدوا أنهم وصلوا إلى غرضهم من الحرب وباحتلال آسيا الصغرى . ولكن طموح الاسكندر كان غير ذلك .

فقام أولا بالتقدم خلال سوريا ومصر ، وأخضعهما بسهولة بالرغم من أصابة الاسكندر بجراح فى غزة ، ثم بعد ذلك تحول إلى فارس ليتحدى دارا على عرشه .

وفى صيف ٣٣١ ق . م أرسل الأسكندر قوة يقودها بارمنيون لقطع طريق المواصلات على الفرات عند ثابسا كوس مع إقامة جسر هناك وكان الاسكندر أول قائد يطبق نظام السير بمجموعات منفصلة والقتال بحشد . وفى يوليو عبر الأسكندر النهر بنفسه متقدما نحو الشمال الشرقى إلى دجلة وتساقط أمامه الحرس الفارسى المتقدم . وفى ١٩ سبتمبر عبر باقى جيشه النهر ، وبعد ذلك بأربعة أيام أخبرته وحدات الاستطلاع بأن جيش العدو معسكر فى أحد السهول بالقرب من جوجاميلا .

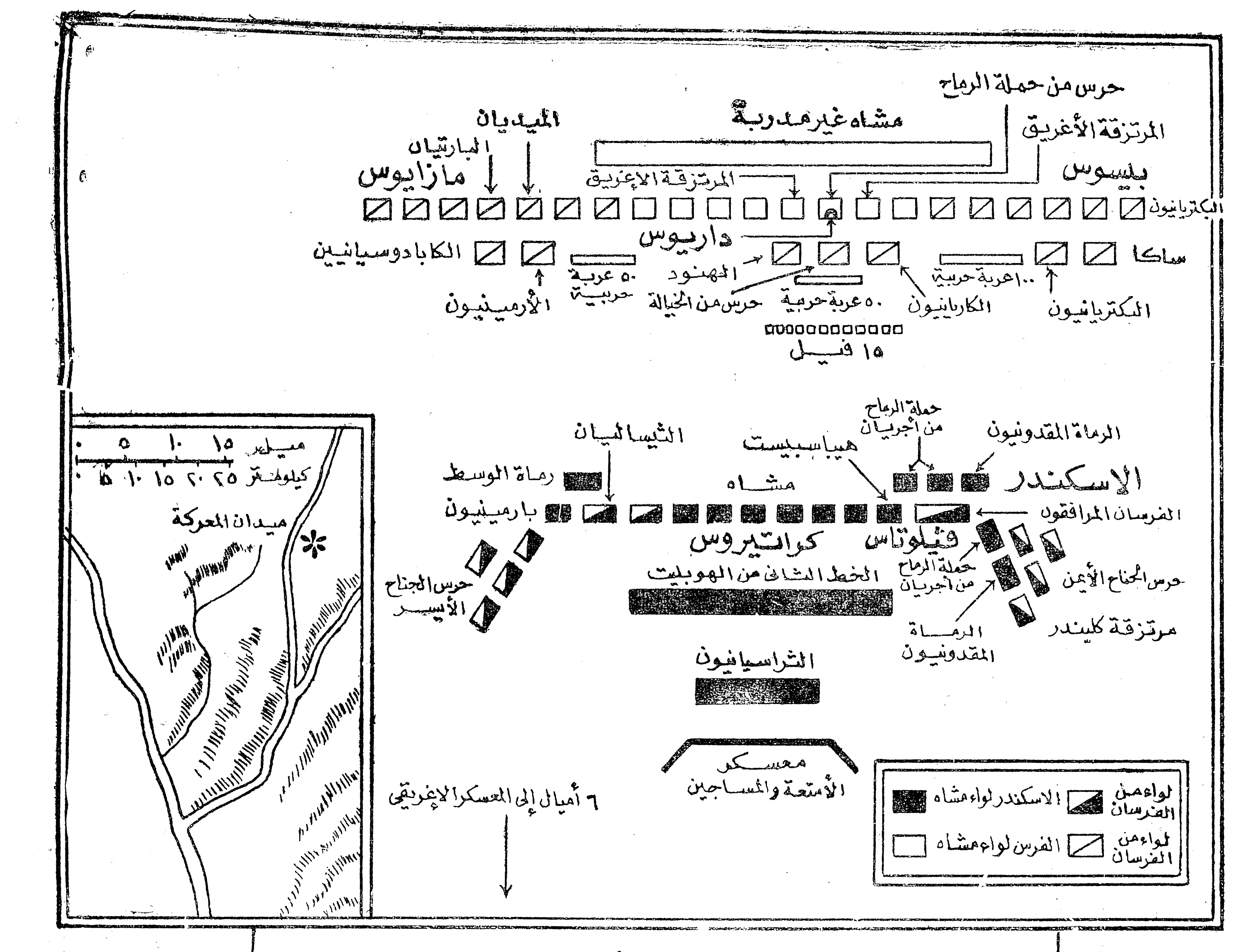
وكان يجب على الفرس أستخدام أسلوب أنهاك العدو بالإغارة عليه بدلا من الدخول معه فى معركة فاصلة ، إلا أن دارا قرر القتال فسر الاسكندر من ذلك قائلا لقواته « هذه المعركة ستقرر مصير آسيا كلها » .

معركة جوجا ميلا (أنظر اللوحة رقم ٦) .

وفى خلال العشرون شهراً التالية لمعركة إيسوس ، بذل الفرس مجهوداً كبيراً فى بناء جيش قوى ، ولكنهم نسوا منذ زمن طويل الأساليب الحربية القديمة التى ساعدتهم على أقامة أمبراطوريتهم فى القرن السادس ق . م علاوة على إنقراض الرماه المشهورين و ١٠٫٠٠٠ من « الخالدين » الذين يمثلون صفوة المشاة الثقيلة مع صغر حجم الحرس الملكى . وعلى كل فقد كانت مشاتهم تضم الجنود غير المدربين أو رجال القبائل غير المنظمة . أما الفرسان

---

(١) تالنت عملة نقدية قديمة . (المعرب)



اللوحة رقم ٦ - معركة جوجاميلا

فكانت هى الوحيدة المتماسكة فى قواتهم وخاصة فرسان الحرس الملكى والكابادوسيانيين وهؤلاء كانوا مسلحين برمح طاعن ودرع وسيف طويل . وأعاد دارا العربات الحربية التى لم تكن مستخدمة منذ زمن طويل ، لتكملة فرق الفرسان ، ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لتدريب سائقيها التدريب الكافى . وكما قال فوللر فمشكلة الجيش الفارسى تنحصر فى وجود خفة حركة كبيرة ولكن يفتقر للاتزان مع تمركز القيادة العليا للجيش فى يد دارا .

وقد أدى طبيعة وتشكيل الجيش الفارسى[1] إلى التحكم فى استراتيجيتهم فى هذه المعركة، فقام دارا (داريوس) بتمهيد سهل جوجاميلا حتى تصبح الأرض ملاءمة لتحرك العربات الحربية، وأستغل تفوقه العددى وأقام جبهة طويلة بجناحين قويين من الفرسان ، وقاد بنفسه منطقة الوسط المشكلة من المشاة المدربين والحراس من حملة الحراب بالإضافة إلى ٢٠٠٠ مرتزق أغريقى من الهوبليت ودفع أمامه ١٠٠٠ فارس من الحرس الملكى وقوات الفرسان من الهنود والكاريانيين . بينما كانت الميسرة تحت قيادة بيسوس مشكلة من مجموعات من الفرسان القادمة من المقاطعات الشرقية للامبراطورية من بينهم ١٠٠٠ فارس مصفح يحملون دروعا ثقيلة ويطلق عليهم ساكا . أما الميمنة فكانت تحت قيادة مازايوس ومشكلة من الفرسان الغربيين بما فى ذلك الكابادوسيانيون ووضعت المشاة فى المؤخرة ووضعت ٢٠٠ عربة حربية فى المقدمة أما فى المركز فكان هناك ١٥ فيلا ، ولو عرف دارا كيف يستخدم الفيلة لأصبحت ذات فاعلية[2] ضد فرسان الأسكندر ، وعلى كل فليس لدينا سجلات تبين أن الفيلة أشتركت فى المعركة أو لا أما الاسكندر فكان لديه جيش من أكبر ما قاده من الجيوش فقد جند عدداً من المرتزقة الأغريق ودعمهم بثلاث وحدات من الفرسان وكان مجموع قواته ٤٠٫٠٠٠ من المشاة و ٧٫٠٠٠ فارس وكان يدرك أن الفرس فى بداية المعركة سيهاجموه بالفرسان والعربات الحربية ليطوقونه ، ولذلك أتخذ الأسكندر الدفاع لهجومى ، فكون جبهته من المشاة الصلبة القوية وعلى مواجهة تبلغ نصف طول جبهة العدو ومدعمة بصفوف عميقة حول الأجنحة . وكانت منطقة الوسط مقسمة إلى يمين ويسار وقلب

(١) تضمن الجيش الفارسى من ٢٤ جنسية .

(٢) من المعروف أن الخيل تخاف الفيلة وتجمح . (المعرب)

وكان القلب به ستة لواءات من المشاة ولواء من الهيباسبيست أما فى اليسار فكان بارمينيون يقود الفرسان الثيساليون ونصف الفرسان المتحالفين وبعض الرماة والمشاة المرتزقة أما فى اليمين فكان فيلوتاس يقود القوة الرئيسية للفرسان المرافقين وفى مقدمتهم حملة الرماح ونصف الرماة المقدونيين . أما الجناح الأيسر (الميسرة) فكانت مشكلة من عدد كبير من فرسان الحلفاء أما الجناح الأيمن فشكل من الفرسان بما فى ذلك الفرسان المرتزقة كايندر المحنكين ، وبقية الرماة وحملة الرماح من أجريان وكان هناك خطر ثان من الهوبليت المرتزقة لمقاومة أى تطويق لأجنحة جيش الاسكندر . ووضع خلفهم الأمتعة ومهمات الجيش والأسرى تحت حراسة المشاة من جنود تراسيا ، وعلى بعد ستة أميال كان يقع المعسكر الأغريقى .

وكانت خطة الاسكندر تتمشى مع مبدأ نابليون « دفاع سليم قوى وحذر جدا يعقبه هجوم مضاد جرىء وسريع » .

وفى الليلة السابقة للمعركة ، أصدر دارا أوامره بأن تبقى جميع القوات على أهبة الأستعداد خلف أسلحتهم ، وكان هذا تصرف أحمق ، وغير ضرورى ، فقد أدى إلى أصابتهم بالإرهاق قبل بداية المعركة . أما الأسكندر فبعد أن أعد جميع ترتيبات وتنظيمات المعركة أمر براحة أجبارية لجنوده وناموا جميعاً نوماً عميقاً حتى صباح أول أكتوبر ٣٣١ ق . م حيث بدأت المعركة ولاحظ الاسكندر أن فرسانه المرافقين يواجهون عربات الفرس الحربية ، فأمر بأنحرافهم نحو اليمين حتى تصبح مشاته فى مواجهة العربات ، وهذا دفع بفرسان الاسكندر إلى الطريق الممهد فى السهل ، فقرر دارا أيقاف تقدم الفرسان من جهة اليمين وإلا أصبح هجوم عرباته ليس له فائدة ، فدفع مجموعات من الساكا وخلفهم الفرسان والبكتريانيون لمهاجمة الجناح الأيمن للأسكندر ونشب قتال ضار ، قام خلاله الأسكندر بمهارة فائقة بتعزيز قواته بوحدات جديدة فأتت بنتائج فعالة فى القتال وبعد قليل حطم فرسان الاسكندر الفرس وأجبروهم على الأنسحاب وأبتدأ فى ذلك الوقت هجوم العربات الحربية الفارسية ولكنها فشلت فشلا ذريعاً ، فقد قابلهم جنود الاسكندر بوابل من الرماح مما جعل هذه العربات تتخبط وتتحرك فى فوضى . وقد أصاب الخيل الفزع والذعر وسقط معظم قواد هذه العربات صرعى ، وعندما وصل ما تبقى منهم إلى صفوف

جنود الاسكندر فتحت لهم هذه الصفوف ثغرة مروا من خلالها فإستقبلتهم مشاة الخط الثانى وعندما رأى دارا أن الاسكندر دفع باحتياطيه الموجود فى الميمنة إلى المعركة، قرر القيام بأكبر هجومين لتطويق جيش الأسكندر .

فدفع بجبهة الفرسان الفارسية بالكامل للأمام، وهنا كانت أحرج لحظات المعركة، فبدلا من أن يركز الجناح الأيسر الفارسى هجومه على فرسان الأسكندر المرافقين، أندفعوا إلى أقصى اليمين حيث الجيش الأغريقى، وترجع هذه الغلطة لسوء فهم الأوامر أو كما أرجعها فوللر لرغبة الفرسان الفارسية لسلوك طريق الهجوم السابق، كما حدث مع بعض الفرنسيين فى معركة ووترلو، أو ربما لأن الخيول لم تستطع مواجهة القذائف فى المنتصف . وعلى أى حال فكانت النتيجة حدوث ثغرة فى الجبهة الفارسية . وقد وصف آربان كيف أنتهز الأسكندر هذه الفرصة فى الحال قائلا : — عندما كسر الخط الأمامى الفارسى على أثر إنطلاق فرسانهم لمساعدة قواتهم التى تحاصر الجناح الأيمن للاغريق، ألتف الأسكندر على الفور نحو الثغرة ومعه فرسانه المرافقون وجزء آخر من الهيباسبيست وقادهم بنفسه فى هجوم خاطف نحو دارا نفسه . وكان هجوم الفرسان المقدونيين تحت قيادة الأسكندر ضاريا وكان فى بعض الأوقات يصل إلى القتال يداً بيد، وأندفعوا بجرأة نحو الفرس يضربون وجوههم بالحراب وقد أشترك معهم بعد ذلك قوات مقدونية مساحة بالحراب الطويلة . وأصبح كل شىء مملوءاً بالرعب وقد قتل معظم جنود حرس الفرس وفر دارا من المعركة .

وعلى كل حال فالمعركة لم يتم كسبها بعد، فعندما تقدمت القوات التى رافقت الأسكندر فى هجومها الخاطف تركت ثغرة فى جبهة الأسكندر مما أدى إلى أن أندفع خلالها فرسان الفرس شاطرين قوات الأسكندر إلى قسمين، ولكن ظهرت حماقتهم عندما لم يعاونوا مازايوس فى القضاء على الجناح الأيسر للأسكندر، وبدلا من ذلك أندفعوا إلى الخلف ليجمعوا الغنائم . فى هذا الوقت أحاطت قوات الفرس بالجناح الأيسر وحاصروا بارمينيون وقواته فأرسل نداء يائساً يطلب العون من الأسكندر، ووصل هذا النداء والأسكندر يتابع هجومه الناجح على يسار الفرس . وهنا ظهرت براعة الأسكندر الحربية وقيادته الحكيمة عندما قاد الفرسان المرافقين إلى الجانب الآخر من منطقة المعركة، وهناك أشتبكوا مع قوات الحرس الفارسى

العائدين ومعهم فرسان الهنود والبارتيانيين وطبقاً لما قاله أربان : —

« وهنا حدث أعنف أشتباك بين الفرسان فى المعركة كلها » وقد أدركت القوات الفارسية أن دارا قد تخلى عنها فضعفت روحهم المعنوية وعزيمتهم ، وفى هذه الآونة قام الثيساليون فى الجناح الأيسر بهجوم ثان ولكنه كان ناجحاً هذه المرة وسطقت الميمنة الفارسية ، بينما أنسحب بيسوس بالجناح الأيسر . وفى الحال أصدر الأسكندر أوامره بالمطاردة الشاملة للفرس كما قال تارن : — « لقد أدرك الأسكندر أن العدو أصبح غير قادر على القتال » وقد ظل رجاله يطاردون الفرس لمسافة ٣٥ ميلا حتى أربيلا ، ولم يتوقفوا إلا لحظات قصيرة عند منتصف الليل للراحة .

نتائج معركة جوجاميلا

تعتبر معركة جوجاميلا من أعظم المعارك التى حدثت فى العالم ، وليس هذا لأنها تعتبر مثال كلاسيكى لعبقرية الأسكندر الحربية ، ولكن لنتائجها التاريخية . فقد كشفت هذه المعركة عن قلب الأمبراطورية الفارسية وجعلت من الأسكندر سيد آسيا .

أما دارا فقد هرب فى أتجاه الشمال الشرقى داخل تلال ميديا ولم يغر الأسكندر ذلك ليحيد عن غرضه الرئيسى ويتبع دارا ، بل تقدم ليستولى على أهم مراكز فارس وهى بابل وسوسا وبيرسبوليس وقد أستسلمت جميعها بسهولة . وعندما كان فى الطريق إلى بيرسبوليس قام بحملة خاطفة ضد القبائل التى تسكن المرتفعات . ووصل الأسكندر إلى بيرسبوليس حيث أحرق قصر سيركسوس وأمضى شتاء هذا العام هناك ليؤكد أن اليونان أنتقمت أنتقاما كاملا من فارس .

وفى صيف ٣٣٠ ق . م تقدم الأسكندر إلى إكباتانا فى ميديا ليلحق بدارا . وهناك أنتهى الأسكندر من مهمته وقام بدفع أجور من رغب من جنوده اليونانيين فى العودة إلى بلادهم .

الاسكندر يغزو الشرق

شرع الأسكندر من أكباتانا فى غزو الشرق ، فوصل إلى إندوس (نهر السند) فى أوائل صيف عام ٣٢٦ ق . م بعد أربع سنوات من القتال . وقد قام هو وجيشه خلال الطريق بأعظم

البطولات الحربية ، فقد قطع ٤٠٠ ميل فى ١١ يوما أثناء مطاردته لدارا فى اتجاه كاسبيا (قزوين) ثم قاد بعد ذلك ٥٠٠ من جنوده على ظهور الجياد لمسافة ٥٠ ميلا أخرى ليلا .

وفى عام ٣٢٩ ق . م هزم الأسكندر جماعات الرحل فى أوكسوس بقذفهم بالمنجانيق المركب على القوارب ، ثم هاجمهم بعد ذلك بالفرسان الثقيلة ويعاونها مجموعات من الرماة وحملة الرماح لزيادة قوتهم وفاعليتهم .

وفى شتاء ٣٢٨ ق.م أسر رجال الأسكندر جميع من فى قلعة سوجديان (بخارى) المقامة على صخرة عالية بتسلقهم للجبال المغطاة بالثلوج التى ترتفع ٣٠٠ قدم بواسطة الحبال . وفى عام ٣٢٧ ق.م عبر الأسكندر هندوكوش ومعه ٢٧٫٠٠٠ مقاتل ، وبعد قتال مرير مع قبائل باجور وصل فى العام التالى إلى نهر الهايداسبيس . وهناك حقق انتصاره الرابع العظيم ، فقد عبر النهر عندما كان العدو يحشد قواته على الضفة المقابلة ، وبالرغم من فزع فرسانه من الفيلة إلا أنه تمكن من العبور بعد القيام ببعض الهجمات الخداعية ، وأخيراً حقق النصر فى المعركة بعد قتال مرير .

ولكن بعد فترة وجيزة تمرد جيشه عليه عند نهر بياس ورفض التقدم أكثر من ذلك فقد مضى عليهم ثمانية سنوات منذ أن غادروا اليونان وقد قطعوا فى هذه الرحلة ١٧٫٠٠٠ ميل وأنهكت الأمطار والحروب قواهم ، وتملكهم اليأس من احتمال نجاحهم فى شق طريقهم قتالا خلال الأعداء التى لا حصر لها من الفيلة والمحاربين الهنود ولذلك انهارت معنوياتهم فاضطر الأسكندر إلى العودة بهم إلى الأندوس (نهر السند) ومنها إلى جيدروسيا (بلوخستان) وكارمانيا ثم إلى سوسا التى وصلها فى ربيع عام ٣٢٤ ق. م. وتعد المرحلة الأخيرة لهذه الحرب أفظعها جميعاً ، فقد جرح الأسكندر ، ومات فى يونيو عام ٣٢٣ ق . م وكان عمره لا يزال ٣٣ عاما بعد حكم دام ١٢ عاما وثمانية شهور .

الاسكندر القائد السياسي

وليس هناك شك فى أن الأسكندر ينتمى إلى قادة الحرب العظام وهو معروف فى التاريخ باسم « الأسكندر الأكبر » وقد ترجمت سيرته إلى لغات معظم الشعوب من الصين حتى أيسلندا . فكان الأسكندر يقدم فى كل حروبه معايير جديدة للأنسانية ، ففى ايفيسوس

عاون الديمقراطيين ، ولـكنه رفض السماح لهم بقتل الأقلية . وفى كاريا أحترم نظام حكم المرأة فى هذه البلاد فقام بتعيين أمرأة فى منصب الحاكم لأحدى الولايات . وكان يحرص دائما على عدم إنتهاك الحرمات الدينية لأى شعب يحكمه ، وعلى سبيل المثال ، قام بإعادة بناء معبـــد ماردوك فى بابل والذى دمره سيركسوس . ويقال أنه أسس ٧٠ مدينة جديدة فى أمبراطوريته ، وتحمل مسئولية جعل الشرق الأدنى يعتنق الثقافة والأسلوب الأغريقى .

ولـكن عظمة الأسكندر الأكبر تـكمن فى عدم تمسكه بفـكرة أرسطو التقليدية والتى تنص على أن اليونان المتحضرة يجب أن تـكون بعيداً عن باقى العالم المـكون من البرابرة . وقد قال الأسكندر لـكاهن آمون فى مصر بأن الله هو «أب لجميع البشر» وهذا التصريح من الأسكندر يعتقد سير ويليام تارن أنه أول تصريح فى العالم لمبـدأ أخوة البشر جميعهم . وقد تمتعت جميع الشعوب التى حكمها الأسكندر بالأحترام والمساواة فى المعاملة وكان فى نيتـه أن يدمجهم فى جنس واحد . وقد تزوج الأسكندر ومعه ٨٠ ضابطاً من نساء فارسيات . وأقام الأسكندر عام ٣٢٤ ق . م فى أحد الأعياد وليمة كبيرة حضرها ما يقرب من ٩٠٠٠ ضيف يمثلون شعوب أمبراطوريته .

ولم يـكتمل حلم الأسكندر فى تحقيق الأخوة الأنسانية لأنه لم يستطـــع بناء كيان سياسى ثابت فى البلاد التى فتحها ، فعندما مات أنفصمت عرى الأمبراطورية ، ولـكن أصبحت وجهات نظره وآرائه من أهم وأعظم صور تطور المدنية والحضارة . وكانت أفكاره تشبه أفـكار الرواقية[١] وأفـكار الأمبراطورية الرومانية وأفـكار الديانة المسيحية .

وقد تبع موت الأسكندر صراع شديد بين خلفائه للأستيلاء على أجزاء من الأمبراطورية . ففى سنة ٣٠١ ق . م بعد موقعة إيسوس ظهرت أربع ممالك . ولم يتطور فن الحرب الإغريقى لأبعد مما وصل إليه أبان عهد الأسكندر . وقد كان خلفاؤه قادة ممتازين وخاصة ليزماخوس وسلوقس ولـكن جيوشهم أصبحت معقدة وصعبة القيادة ولم يعد هناك أى دروس يخرجون

(١) الرواقية : مذهب فلسفى أنشأه زينون حوالى عام ٣٠٠ ق.م ويتضمن أن الرجل الحـكيم يجب أن يتحرر من الأنفعالات ولا يتأثر بالمديح أو الذم ولا الحزن والفرح على أن يخضع للقضاء والقدر وبدون أى تذمر . «المعرب»

بها من المعارك . ففى خلال حملات الأسكندر فى الهند تركت الفيلة أنطباعات مؤثرة على قادته وذلك لفاعليتها الكبيرة على الخيول التى لم تستطع مواجهتها ، علاوة على تأثيرها المخيف على القوات التى تراها لأول مرة . مثال لذلك أستطاع بايروس ملك إيبيروس هزيمة الرومان عام ٢٨٠ ق . م فى معركة هيراقلية ، ولكن يجب القول بأن النجاح فى هذه المعركة لم يكن بسبب الفيلة فقط ، لأن الرومان أستطاعوا هزيمة بايروس فى بيننفنتوم عام ٢٧٥ ق .م وكان السبب فى ذلك أن فيلا واحداً بعد أن جرح أصابه الذعر فاندفع بجنون داخل صفوف جنوده متسبباً فى قتل عدد كبير منهم .

ولم ينجح بايروس فى حل مشكلة تزايد وجمود وعدم مورنه كتائب المشاة الأغريقية وبالرغم من الخسائر الفادحة[1] التى تكبدتها قوات بايروس فى معركة هيراقلية فلايزال الألبانيون ينظرون إليه كأحد الأبطال القوميين .

(١) فقدوا فى هذه المعركة حوالى ٤٠٠٠ جندى (المعرب)

وهكذا ينتهى الجزء الأول من الكتاب ، أما الجزء الثانى فضمنه مونتجمرى الآتى :—

* هانيبال يغزو إيطاليا .
* حرب العبيد الأولى .
* صلب ستة آلاف سجين .
* يوليوس قيصر وكليوباترا .
* عقـــدة ماجينو .
* النساء يستعدن المعارك .
* القرابين لآلهة الألمان .
* حائط الشيطان .
* التنين البربرى .
* ســـوط الله .
* حوت البوسفور .
* النصر الخاوى .
* ظهور محمد (عليه الصلاة والسلام) .
* المسلمون قوم لا يقهرون .
* الإسلام محرر الشعوب من العبودية .
* النـــار الأغريقية .
* الأمبراطور البيزنطى .
* الملك شارلمان .
* الفايكنج .
* فتيات الدروع .

فإلى اللقاء مع مونتجمرى على صفحات الجزء الثانى .

« المعرب »

مؤلفات وتراجم للعميد فتحى عبد الله النمر

مؤلفات

			الثمن ج
*	التاريخ العسكرى فى ١٠٠ سؤال		٢٠
*	الحرب العالمية الثانية فى شمال أفريقيا		نفذ
*	فلسفة فن القتال (٥ أجزاء)		نفذ
*	الروح المعنوية		نفذ
*	مبدأ الحرب التعاون		نفذ

تراجم

*	مذكرات روميل (٦ أجزاء)	الجزء الواحد	٣٠
*	قرارات هتلر المميتة (٢ أجزاء)	« «	١٠
*	ثعالب الصحراء (٣ أجزاء)	« «	٣٠
*	الحرب عبر التاريخ	« «	٢٥

مسابقة القراء

		عدد
الجائزة الأولى : —	١٠ جنيهات مصرية	١
الجائزة الثانية : —	٣ جنيهات مصرية	٢
الجائزة الثالثة : —	٢ جنيـــة مصرى	٣

١ — طريقة حل المسابقة : يوجد عدة أسئلة ومدون لكل سؤال ثلاثة أجابات أحداها صحيح ، فعلى القارىء أن يضع علامة (√) أمام الأجابة الصحيحة مع كتابة اسمه وعنوانه بالكامل .

٢ — بعد أن يتم أختيار الأجابات الصحيحة تنزع ورقة الأسئلة والأجابات من الكتاب وتوضع فى مظروف عليه طابع بريد وترسل فى بحر شهر من صدور الكتاب على العنوان التالى :ـ

مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد / القاهرة

مسابقة « الحرب عبر التاريخ » .

٣ — سيتم فرز الإجابات الصحيحة وعمل قرعة لأختيار الفائزين وأولوياتهم .

٤ — سيتم نشر أسماء الفائزين فى الجزء التالى للكتاب .

٥ — لقد رصد الفيلد مارشال مونتجمرى الجوائز المالية السابقة للقراء وعن كل جزء من الأجزاء التالية لكتابه

الحرب عبر التاريخ

المســـابقة

نمرة ٠٠٣٢٩٦

١ — النصر فى المعركة يتحقق بـ

١ — الروح القتالية العالية للجنود والضباط فى الميدان .

٢ — الضبط والربط والزمالة بين القوات .

٣ — التدريب الشاق على الأسلحة والخطة المحكمة .

٢ — اذا هاجم العدو دولة ، فدفة الحرب تـكون فى ايدى

١ — العسكريين .

٢ — السياسيين .

٣ — العسكريين والسياسيين .

٣ — قبائل جوارانيس تقيم فى

١ — شرق أفريقيا .

٢ — جزر الأوقيانوس .

٣ — البرازيل .

٤ — فى العصر القديم كانت الحرب تعتبر عند

١ — الشعب البولينيزى إحدى وسائل التسلية .

٢ — قبائل المايا من الطقوس الدينية .

٣ — القبائل الهندية طاقتهم ودينهم وكرامتهم .

٥ — اول من استخدم العربة الحربية

١ — المصريون .

٢ — العراقيون .

٣ — الآشوريون .

٦ — بدات حرب التحرير المصرية ضد الهكسوس من

١ — مدينة طيبة عام ١٦٣٠ ق . م .

٢ — مدينة أفاريس عام ٢٢٠٠ ق . م .

٣ — مدينة سيمنة عام ١٧٤٠ ق . م .

٧ — فى عهد المملكة الحديثة تم توحيد النوبة وليبيا مع مصر بواسطة

١ — تحتمس الأول .

٢ — أمينحوتب الأول .

٣ — أحمس .

٨ — كانت معركة مجدو بين كل من

١ — أحمس والهكسوس .

٢ — تحتمس الثالث وملك قادش .

٣ — رمسيس الأول وملك الحيثيين .

٩ — اول من برع فى فن التخطيط للحصار

١ — يوليوس قيصر .

٢ — الأسكندر الأكبر .

٣ — هو ديونيسيوس الأول .

١٠ — « الحيلة قبل القوة .. ولكن استخدام القوة فى النهاية » من قال هذا

١ — أجيلوس الأسبرطى .

٢ — فيليب .

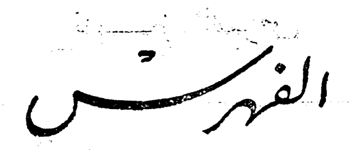
٣ — الأسكندر المقدونى .

الاسم ________________________________

العنوان ______________________________

____

____



تابع الفهرس